جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2191) - السنة (55) شوال 1445هـ/ 1 مايو 2024م

مستقبل المشروع الإسلامي (٢)

منظومة القيم

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

المنصات العربية

mugtama magazin

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

@mugtama

@mugtamaa

@mugtama

@mugtamaa

English platforms

@almujtama_en

@AlMujtama_en

@almujtama_en

@almujtama_en

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN00000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

العدد (2191) - السنة (55)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:
العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)
التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com
الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com
الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com
موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

مستقبل المشروع الإسلامي (٢)
منظومة القيم

8 جمعية الإصلاح الاجتماعي أقامت معرض الكتاب الإسلامي الـ46
12 القيم.. بين المشروع الإسلامي والنظام العالمي
14 القيم في التشريع الدولي.. بين النموذجين الإسلامي والغربي
18 مركزية القيم.. بين الوازع الديني الإسلامي والإرغام القانوني الوضعي
20 دور منظومة القيم في المنحنيات الحضارية للخلافة الإسلامية
38 غزة.. انهيار شامل لمنظومة الأمن الغذائي بفعل العدوان الصهيوني
42 الدين كفكرة مركزية في مشاريع النهضة
44 التعليم وصناعة النهضة.. المنهجية والقيم
56 محطات إيمانية في طريق التربية.. بين كمامة الوجه وخمار الرأس!
66 كاريكاتير المجتمع

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾

سورة النساء

رأي المجتمع

سعادة البشرية في قيم الحضارة الإسلامية

تشكل منظومة القيم في المشروع الإسلامي منهج حياة، وتراعي حاجيات الإنسان الروحية والبدنية، وتلبي متطلباته بشمولية وحكمة، وتمثل قاسماً مشتركاً يلتقي عليه كثير من أمم الأرض، فهي قيم تنبع من الفطرة الإنسانية العامة، وتستند إلى رصيد وافر من تطلعات البشر نحو عالم خال من الظلم والعدوان، عالم يسوده العدل والرحمة.

ومعروف أن القيم والمبادئ العليا الحاكمة من اللبنات الأساسية في قيام أي مجتمع بغض النظر عن دينه وعرقه ولسانه ولونه، حيث لا يتصور وجود مجتمع إنساني دون وجود منظومة من القيم والمُثل العليا التي تحكم وتوجه وتضبط التصرفات العامة والخاصة في هذا المجتمع، وبقدر سمو ونقاء وكمال وشمولية تلك المنظومة وسلامة مصادرها وقوة إيمان الأفراد والجماعات بها، يرتفع المجتمع ويعلو على غيره من المجتمعات ويحقق ميزة التفوق الحضاري والأممي ويتأهل لقيادة البشرية، وهذا ما لم يتحقق خلال التجربة البشرية إلا في منظومة القيم والمثل الإسلامية العليا.

وإن الناظر في آيات الكتاب الكريم يجد أن من جملة مقاصده العامة، بناء المشتركات الإنسانية الواحدة التي يمكن أن تكون جسوراً للتواصل والتفاعل بين شعوب الأرض وأممها، وإيجاد المساحات المشتركة التي يمكن أن تتسع للجميع، وتحقيق التعاون بين الناس، وبناء القيم الإنسانية الواحدة التي يمكن أن يلتقي عليها الجميع، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣).

فمن أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الفرد الصالح، والمجتمع الفاضل، وفق المنهج الرباني؛ بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل لإيجاد الإنسان الخليفة والأمة الربانية المتآلفة المتآخية المتوادة، وهي ليست تكتلاً أو حشداً أو كياناً عدائياً، تقيم علاقاتها بالآخرين على أساس الهيمنة والقهر العقائدي، بل هي مشروع راقٍ للحضارة الإنسانية التي تجسد معنى الاستخلاف في الأرض، فنحن نملك نظاماً للقيم يصلح أن يلتقي عليه أغلب البشر، ويمثل قاسماً مشتركاً لأي منظومة حضارية تريد أن تقوم على الحق والعدل وحرية الإنسان وحقه في العيش.

ولو كانت قيم الإسلام تسود الأرض، ما وقف العالم لا يحرك ساكناً تجاه الإبادة الجماعية التي تحدث للفلسطينيين في غزة، ولأوقفوا الصهاينة المجرمين عند حدهم، ولأعملوا القصاص فيهم، على جرائمهم ضد الإنسانية، التي يندى لها الجبين، ولبسطوا العدل في ربوع الأرض.

إن ترسيخ القيم بين أفراد الشعب، ليس دور الحكومات والأنظمة والحكام فحسب، ولكنه دور الجميع خاصة المؤسسات التربوية والدعوية، والإعلامية، والبيت، والنوادي، وسائر مؤسسات الدولة.

إن رقي المجتمعات لا يُقاس بما حققت من إنجازات أو مخترعات فقط، بل بسيادة القيم الإنسانية فيها من عدل ومساواة وحب وإخاء وبذل وإيثار واستقامة ونظافة في السلوك والمعاملات.■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :٧٢٥١١١ / ف : ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

د. الظفيري: حرص الجامعة على صيانة المؤسسة الأكاديمية واحترام ديننا وقدسية قرآننا والذات الإلهية

د. الهاجري: تعزيز القيم دور كل مسؤول بالدولة وسيحاسَب كل من تسوّل له نفسه التشكيك بالثوابت

شكّكت في القرآن الكريم.. تصريحات أستاذ جامعي تثير غضب الكويتيين!

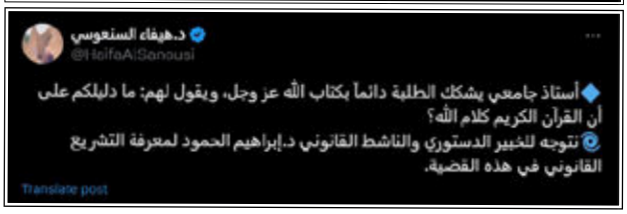

كتب – المحرر المحلي:

أثارت تصريحات د. هيفاء السنعوسي، التي حذرت فيها من أستاذ بجامعة الكويت يشكك في القرآن الكريم، أثارت استياء وغضباً شديدين في الكويت، وأججت دعوات لفتح تحقيق عاجل واتخاذ إجراءات قانونية جادة تجاه هذا الأستاذ.

فقد حذرت د. السنعوسي من سلوك يتجلى في تشكيك طلاب الجامعة في القرآن الكريم، وهو أمر يعتبر خطيراً للغاية، خاصة عندما يأتي من أحد الأساتذة في مؤسسة تعليمية مرموقة مثل جامعة الكويت، هذا السلوك يشكل تحدياً للقيم والمبادئ التي تقوم عليها المؤسسات التعليمية، ويثير تساؤلات حول الالتزام بالقيم الدينية والثوابت الشرعية.

من جهتها، تعكف الجامعة على التحقيق في هذه الأحداث واتخاذ الإجراءات اللازمة، مع التأكيد على أهمية احترام الدين والقرآن الكريم، وعلى الجميع الالتزام بقوانين الدولة والقيم الإسلامية.

وقالت د. السنعوسي: أحذر من أن أستاذاً في جامعة الكويت يشكك الطلبة في القرآن الكريم، حيث يقول لهم: «ما الذي يدل على أنه كلام الله عز وجل؟!»، وأضافت قائلة: الأستاذ طلب من طلبته بأن تكون أبحاثهم وتقاريرهم بلا كلمة «بسم الله الرحمن الرحيم»، وتابعت: طلبت من الملاحدة ومن يؤمنون بالفكر النسوي مناظرة، لكنهم عجزوا عن ذلك، وأوضحت قائلة: كان أستاذي في جامعة غلاسكو مُلحداً، ومع ذلك لم أتأثر به، لكن المشكلة تكمن في بعض الذين انبهروا من الغرب بعد سفرهم إليه للمرة الأولى.

هذا، وقد توالت ردود الفعل من أعضاء مجلس الأمة، حيث قال النائب د. فلاح الهاجري: الأخ وزير التعليم، سبق أن تحدثنا عن القيم وخطورة هدمها لدى الأجيال، وما يثار حول الأستاذ الجامعي وتشكيكه بالقرآن الكريم وغيره من الثوابت الشرعية، ويجب فتح تحقيق بلجنة محايدة خارج الجامعة، وسيكون بإذن الله هناك طلب في اللجنة التعليمية للتحقيق حول الحادثة.

وأضاف الهاجري: القيم وتعزيزها دور كل مسؤول في مؤسسات الدولة، وسيحاسَب كل من تسوّل له نفسه التشكيك بالثوابت والقيم المستمدة من الشريعة الغراء، فدين الدولة الإسلام، والشريعة مصدر رئيس من مصادر التشريع.

ومن ناحيته، قال النائب أحمد مطيع العازمي: على وزير التعليم العالي فتح تحقيق عاجل لكشف ملابسات تشكيك وطعن أستاذ بجامعة الكويت في القرآن الكريم، وإثارة الشبهات في قلوب أبنائنا الطلاب، التجاوزات من بعض أساتذة الجامعة سببها غياب الرقابة والمحاسبة، مؤكداً أن حماية أبنائنا وبناتنا من هذه الأفكار الضالة مسؤولية الجامعة، ويجب عليها غرس الثوابت الإسلامية لتعظيم كتاب الله تعالى.

وفي السياق نفسه، قال النائب حمدان العازمي: من يشكك في القرآن الكريم، أو يفكر أن يطعن في ثوابتنا الشرعية؛ لا يستحق شرف تعليم أبنائنا؛ لذا يجب على وزير التربية التحقيق بشكل عاجل وفوري فيما يتداول حول واقعة هذا الأستاذ الذي يشكك أبناءنا في القرآن، وإذا ثبتت صحة الواقعة فليس أقل من العزل من منصبه ومحاكمته حتى يكون عبرة لغيره.

وأكد النائب محمد هايف المطيري أن التطاول على الشريعة والقرآن الكريم والسُّنة النبوية والثوابت الإسلامية من الكفر والزندقة، وما ذُكر عن الأستاذ الجامعي من التشكيك بكلام الله يجب أن يُقابَل بحزم من وزير التربية، ومدير الجامعة، وهذا

المتوقع منهما، كما أن هذا التجاوز تُعاقب عليه الشريعة الغراء، ومجرَّم في الدستور وقوانين الدولة، فيجب سرعة إيقافه عن العمل ومحاسبته إذا ثبت عنه هذا الانحراف ليكون عبرة لغيره.

وأكد أمين عام جامعة الكويت بالإنابة المتحدث الرسمي باسم الجامعة أ.د. فايز الظفيري أن جامعة الكويت تتابع بحرص شديد ما أثير في وسائل التواصل الاجتماعي من قيام أحد أعضاء الهيئة الأكاديمية بالتشكيك في القرآن الكريم، وستتخذ كل الإجراءات القانونية اللازمة والعاجلة لاستيضاح الحقائق ووضع الأمور في نصابها الصحيح، مشدداً على حرص الجامعة على صيانة المؤسسة الأكاديمية، وضرورة احترام ديننا الحنيف وقدسية قرآننا الكريم والذات الإلهية والأنبياء والرسل والذات الأميرية والابتعاد عن كل ما يخالف القانون.

وأشار د. الظفيري إلى أن الإدارة الجامعية ملتزمة بتقصي الحقائق وتطبيق القانون بما يعزز مكانة جامعة الكويت وسمعتها الأكاديمية وسمعة منتسبيها.

وقال الأكاديمي د. محمد المطر: التشكيك بصحة القرآن الكريم والوحي شبهة قديمة مع بداية تاريخ الإسلام، ولكن دوافعها مختلفة عبر الأزمان، وأما من ناحية العرب الذين أنزل الله القرآن عليهم في بداية صدر الإسلام كانت قناعتهم محاولة التملص والإنكار لدافع الهوى وحب الزعامة، وكراهية الخضوع للدين الجديد فقط.

وأضاف: ولكن هذه الشبهة حديثاً تزعمها أكابر المنصِّرين، ثم رموز الاستشراق الحديث، مثل جولد تسيهر، ودي بور، ومونتغري وات، ثم تلقفها رموز الحداثة العربية المعاصرة، وقد قاموا بتفعيل مناهج عديدة، منها: المنهج النفسي؛ بمعنى ربط الآيات بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم النفسية، أو المنهج الإسقاطي بأن القرآن مأخوذ من أساطير الأمم السالفة، والمضحك أن بعضهم حاول التشكيك فيه لغوياً!

وتابع د. المطر: وترديد هذه الشبهة حديثاً يكشف الحاجة للوعي والعلم في مواجهة الشبهات والجهل ولو كانت من أكاديمي!

وقال د. سعد الحوفان: إذا ثبت ما قاله هذا الأستاذ فيجب إيقافه عن العمل وإحالته للتحقيق؛ لأن معتقداتنا وثوابتنا الدينية خط أحمر، ولا يجب تجاوزها أو التطاول عليها، خاصة وهي تطرح في صرح تعليمي وبين أبنائنا الطلبة الذين أنكروا هذا الكلام.■

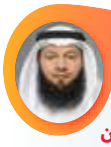

العازمي: من يشكك في القرآن الكريم أو يطعن في ثوابتنا الشرعية لا يستحق شرف تعليم أبنائنا

د. المطر: التشكيك بصحة القرآن والوحي شبهة قديمة مع بداية الإسلام ولكن دوافعها مختلفة عبر الأزمان

ALSHAYA
Oud
EAU DE PARFUM

رائحة جذّابة وثبات قوي

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشايع للعطور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

جمعيـــة الإصـــلاح الاجتماعـــي أقامـت معـرض الكتـاب الإسلامـي فـي نسختـــه الـــ 46

المقدم عبدالله أبو حسين: مشاركة قطاع شؤون المرور والعمليات بالمعرض بهدف زيادة الوعي المروري

كتب – المحرر المحلي:

أقامت جمعية الإصلاح الاجتماعي النسخة الـ٤٦ من معرض الكتاب الإسلامي، تحت شعار «وعي يتشكل»، بمشاركة نحو ١٢٠ جهة ودار نشر من مؤسسات حكومية وجمعيات نفع عام وجهات تعليمية في ١١ دولة خليجية وعربية، إضافة إلى تركيا وبريطانيا، وذلك تحت رعاية وزير الإعلام عبدالرحمن المطيري، بأرض المعارض بمشرف، في الفترة من ١٤ – ٢٠ أبريل ٢٠٢٤م.

ويعد أبرز المشاركين في النسخة الـ٤٦ من المعرض وزارتي الداخلية والتربية، بالإضافة إلى الأمانة العامة للأوقاف.

وقال رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي د. خالد المذكور: إن معرض الكتاب الإسلامي يتطور في كل عام مجارياً التطور التقني وتحديثات الطباعة، مضيفاً أن طوال الأعوام الـ٤٦ من عُمْر المعرض تغيرت أشكال الطباعة وأنظمة النشر وغيرها، لذلك تميز هذا المعرض بإدخال أنماط التقنيات الحديثة التي تخاطب عقلية الطفل، وهذا ما ينص عليه النظام الأساسي للجمعية، موضحاً أن إصدار الكتب وتوزيعها تعد من أساسيات عمل الجمعية التي توجت بإقامة المعرض بشكل سنوي.

وبيَّن أن المعرض يتضمن فعاليات عدة، منها ما يعنى بأنشطة الطلبة التعليمية والتثقيفية وغيرها، معرباً عن شكره للجهات الرسمية المشاركة وعلى رأسها وزارة الإعلام في رعايتها لمعرض الكتاب الإسلامي، ولوزارة الداخلية على تسهيل الإجراءات وتذليل الصعاب أمام الوفود المشاركة في المعرض.

ومن جهته، أكد الأمين العام المساعد لقطاع الشؤون الإدارية والمالية في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ممثل وزير الإعلام سعد العنزي، أن مواصلة إقامة المعرض طوال الـ٤٦ عاماً تعد رسالة تترجم جهود جمعية الإصلاح الاجتماعي، وإضافة لمسيرة البلاد في نشر المعرفة والثقافة محلياً ودولياً.

وذكر ضابط إدارة التوعية المرورية في قطاع شؤون المرور والعمليات المقدم عبدالله أبو حسن أن مشاركتهم في معرض الكتاب الإسلامي الـ٤٦ جاءت لرفع مستوى الوعي المروري لدى مستخدمي الطريق، من خلال ربط سلوك قائد المركبة بالسلوك الديني، مضيفاً أن إدارة المرور حريصة على إيصال الرسالة الصحيحة إلى مستخدمي الطريق.

د. المذكور: معرض الكتاب الإسلامي يتطور في كل عام مجارياً التطور التقني وتحديثات الطباعة

العتيبي: حضور اتحاد الجمعيات والمبرات يأتي تأكيداً على دعم أدوارها الداعمة لنشر العلم والثقافة

وبدوره، قال رئيس اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية الكويتية سعد العتيبي: إن الدور الذي تقوم به جمعية الإصلاح الاجتماعي من خلال إقامتها لمعرض الكتاب الإسلامي وحرصها على استمراره يعد مكملاً للصورة المشرقة للعمل الخيري الكويتي.

وأكد أن حضور «اتحاد الجمعيات والمبرات» يأتي تأكيداً على دعم كل أدوار الجمعيات والمبرات الداعمة لنشر العلم والثقافة في المجتمع الكويتي، مبيناً حرص الاتحاد على المشاركة في مثل هذه الفعاليات الداعمة بشكل كبير لخدمة المجتمع ونشر الوعي والعلم في شتى السبل.

من جهته، أكد رئيس قطاع الاتصال والتكنولوجيا في نماء الخيرية عبدالعزيز الكندري أن مشاركة نماء في المعرض بعدة إصدارات علمية وتاريخية وإنسانية تأتي انسجاماً مع فكرها الذي يعزز بناء الإنسان والإسهام في تطوير مجالاته الحياتية المتنوعة، وتهدف نماء من المشاركة في المعرض إلى تعزيز سبل التواصل بينها وبين المتبرعين من خلال المشاركة بمجموعة من المطبوعات الخيرية التي من شأنها تعريف المتبرعين بالمشروعات الخيرية والإنسانية التي تقوم عليها نماء الخيرية، ومنها المشروعات الصحية والتعليمية والكفالات، ومشروع الأسر المتعففة، ومشروع إطعام الطعام، و«علمني ولك أجري»، إضافة إلى مجموعة من الوقفيات والمشروعات الأخرى.. وأصدرت نماء النسخة الثالثة من «قصة وطن» التي تحتوي على قصاصات من تاريخ دولة الكويت، ومطبوعة «أرواحنا سورنا» التي تأتي استحضاراً لتاريخ الكويت ودورها في الحفاظ على أمنها واستقرارها من خلال بناء الأسوار.

وشاركت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ممثلة بالمركز العالمي لدراسات العمل الخيري، في فعاليات المعرض، وعرضت في الركن الخاص بها أبرز إصدارات مركز الدراسات في مجال القطاع الخيري، بهدف تنمية الوعي المجتمعي بأهمية العمل الخيري في تطور المجتمعات، وتعزيز ثقافة العمل التطوعي لدى مختلف شرائح المجتمع، وبيان أن ممارسة العمل الخيري في الهيئة ترتكز على أبحاث ودراسات وتجارب وخبرات الآخرين، وتضم منتجات مركز الدراسات أعداداً من نشرة «أثر» التي تصدر عنه، والخلاصات المعرفية، وسلسلة من إصدارات تقدير الموقف، وغيرها من الإصدارات.

كما شاركت الأمانة العامة للأوقاف في المعرض، وقالت نائب الأمين العام للإدارة والخدمات المساندة بالتكليف أمل حسين الدلال: إن مشاركة الأمانة العامة هذا العام في المعرض تأتي لنشر ثقافة الوقف في المجتمع الكويتي والتعريف بإنجازات الأمانة العامة للأوقاف المتميزة والمتخصصة في مجال الوقف التي تعد رائدة في هذا المجال، وكذلك الإصدارات التوعوية المتنوعة سواء كانت ورقية أم إلكترونية لزوار جناح الأمانة في المعرض.

وأضافت أنه تم عرض أحدث وأهم الإصدارات الخاصة بإدارة المعلومات والتوثيق، وهي تحقيق المخطوطات ومطبوعات ملف التنسيق الدولي للأوقاف في العالم الإسلامي، مثل قاموس ومعجم تراجم أعلام الوقف وأطلس والكشاف والمكنز، كما تم الترويج والدعوة للمشاركة في مسابقة الكويت الدولية لتأليف قصص الأطفال في مجال الوقف والعمل الخيري والتطوعي في موسمها السادس.

وأشارت الدلال إلى أنه تم عرض إصدارات جميع قطاعات الأمانة العامة للأوقاف، مثل الرسائل العلمية في الوقف، ونظارة الوقف الكويتي، في إطار استثمار وتنمية الموارد الوقفية والمرأة والوقف (العلاقة التبادلية) المرأة الكويتية نموذجاً، ووقف حقوق الملكية الفكرية وسلسلة الأبحاث الفائزة في مسابقة الكويت الدولية، وغيرها من الإصدارات العلمية والأكاديمية، فضلاً عن الإصدارات الإعلامية والتسويق التي تحث على الوقف وتبسط مفاهيمه وأحكامه ودوره في المجتمع.

وشاركت جمعية الرحمة العالمية بالمعرض، وقال مدير إدارة العلاقات العامة والإعلام بالجمعية قيس العلي: إن الهدف من المشاركة في المعرض تعزيز التواصل مع الجمهور، عبر التعريف بمشروعات الجمعية وأهدافها ورؤيتها ورسالتها، ووسائل التواصل الخاصة بها وطرق التبرع وتطبيقاتها المختلفة، وعرض جناح «الرحمة» إنجازات الجمعية منذ التأسيس في المشروعات التنموية والصحية والتعليمية، والآبار والمساجد والكفالات، بالإضافة إلى تعريف الجمهور بخدمة «خيرك بلس» للمشاركة في نشر مشروعات البر والخير المتنوعة، من خلال عدة مطبوعات وإصدارات ومواد إعلامية وفرتها الجمعية لزوار المعرض.■

منظومة القيم.. المفهوم والتأسيس المعرفي والأنواع

د. خالد فهمي
كلية الآداب- جامعة المنوفية

يدور المعنى المحوري للأصل الذي تولد منه مصطلح «القيم» حول معنى الاستقامة والاستواء والاعتدال بالأساس والحفظ والصيانة على ما تقرره المعجمية العربية [١].

وتعرف الدراسات المعاصرة مصطلح منظومة القيم بأنه «مجموعة المبادئ والقواعد المتناسقة والمترابطة بعضها مع بعض ضمن إطار واحد يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف المنشودة من الإنسان والمجتمع»[٢].

وتأمل هذا التأصيل اللغوي من جانب والمفهوم الاصطلاحي من جانب آخر يكشف عن حضور واضح للأبعاد المعرفية بوصف المبادئ مجموعة من الأفكار، وعن حضور واضح أيضاً للأبعاد العملية التطبيقية بوصف الغايات الحاكمة التي تسعى إلى استقامة السلوك، وضبط حركة الوجود الحي.

والحقيقة أن هذا المصطلح (منظومة القيم) يدخل في علاقة ترادف مع مصطلح منظومة الأخلاق بوصفها مجموعة المبادئ والقواعد الضابطة للسلوك الإنساني في الحياة، بوصف الإنسان كائناً مكرماً منوطاً به تحقيق العمران في الحياة.

ولكن المفهوم عند الإطلاق يتوجه إلى جملة الفضائل التي يجب أن يحوزها الإنسان في نفسه وجملة الرذائل التي يجب أن يتجنبها المرء ويتجافى عنها.

وتتعدد أنواع منظومات القيم وتقسيماتها تبعاً لاعتبارات كثيرة جداً، تتوزع على المصادر المؤسسة، والغايات والأهداف.

إن الحقيقة تقرر أن منظومة القيم عند إطلاقها تستدعي قيداً مسكوتاً عنه، لكنه حاضر بالقوة، وهذا القيد هو في الإسلام أو الوصف الإسلامي، بمعنى أن التثاقف إنما هو حول منظومة القيم الإسلامية، وعند هذه النقطة تتعالى المرجعية العليا في الإسلام هي المصدر المركزي الذي يؤسس منظومة القيم وهذه المرجعية العليا هي:

أولاً: الكتاب العزيز، الذي يتحرك نحو إقامة الهداية في النفوس بوصفها الترجمة العلمية والعملية لمنظومات القيم الإنسانية في المجال الإسلامي.

ثانياً: السُّنة والسيرة النبوية بوصفها النطاق العملي الذي مورست وطبقت فيه مجموعات الأصول التي جاء بها الكتاب العزيز على أرض الواقع.

ومراجعة مدونة السُّنة النبوية الشريفة كاشفة عن هذا الحضور المؤسس لمنظومة القيم بوصفها أعلى المعايير التي تمنح الإنسان في النسق الإسلامي ماهيته الأساسية، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سنده (٤/ ٣٦٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء».

وينتج من تأمل هذين المصدرين المركزيين أن منظومة القيم بوصفها مجموعة المبادئ تتسم بالثبات والاستقرار من حيث هما مصدران ثابتان، وتتسم بالغائية أو الدوران حول مفهوم الربانية بوصف الله تعالى هو غاية الغايات التي يتوجه إليها الإنسان المسلم في حركته في الحياة إخلاصاً له من جانب، ورجاءً فيما عنده من الأجر والثواب والفوز بالجنة واحتياز السعادة في الآخرة من جانب آخر.

وتنهض مجموعة مؤسسات أخرى بوظيفة إقامة هذه المنظومة في النفس المسلمة؛ أي بوظيفة الوسائل التي ترسخ منظومة القيم في النفوس وترعاها وتتعهدها وتدرب وتربي عليها، وتقوّم ما عساه يتسرب إليها مما يصيبها من أمور تشغب عليها أو تشوهها وتنحرف بها عن مساراتها المقصودة.

وهذه الوسائل هي:

أولاً: الأسرة بوصفها مقصداً قرآنياً ومحضناً بالغ الخطر والتأثير.

ثانياً: المؤسسات التعليمية (الروضة فما فوقها)؛ بوصف أن التعليم هو المصنع الحضاري الذي يبني منظومة القيم، ويتعهدها بالتقوى والرعاية.

ثالثاً: المجتمع بكل تجلياته ومؤسساته؛ ذلك أن المجتمع بدءاً من الأسرة الكبيرة الممتدة، والأصدقاء والجيران ومجموعات

المعلمين ووسائل الإعلام، والترفيه، وما إلى ذلك تمثل سبيلاً بالغ الأهمية في تعهد منظومة القيم بالرعاية والضبط والتقويم المستمر، والتفعيل والتشغيل الحضاري الدائم.

ويقسم العلم منظومة القيم تبعاً لاعتبارات قيامها في النفس معرفة وسمات والتحرك بها سلوكا عملياً في الحياة قسمين، هما:

أولاً: القيم النظرية التي هي جملة المبادئ أو المعتقدات أو المعارف الحاكمة التي تحكم رؤية الإنسان للحياة، وتحكم إدراكه ووعيه.

ثانياً: القيم العملية أو التطبيقية التي هي جمل السلوك والأعمال التي يمارسها المسلم في ميادين الحياة، أو جعل المواقف العملية التي يتخذها الإنسان المسلم بناء على معتقداته ومعارفه ومنظومة قيمه النظرية.

لقد تحرك الوعي الإسلامي العملي فأحاط منظومة القيم بقدر هائل من الرعاية كان من نتائجه الحقائق التالية:

أولاً: تمثل منظومة القيم الترجمة العلمية والعملية للإيمان بالله وتوحيده، ذلك أن المسلم يتحرك في الوجود محكوماً بثوابت إيمانه بالله، وملخص هذه الترجمة يقول: إن الإنسان المسلم يسعى في الوجود مأموراً بطاعة الله، وقمة مفهوم الطاعة هو الاستخلاف؛ أي أن الله الرحيم يريد من عبده أن يكون رحيماً، وأن الله الشاكر يريد لعبده أن يكون شاكراً، وأن الله الرزاق يريد لعبده أن يكون سبباً في رزق عباد الله، وأن الله الجبار يريد لعبده أن يجبر كسر أخيه الإنسان، وأن يساعد مناطق الضعف الإنساني.

ثانياً: تمثل منظومة القيم الترجمة

منظومة القيم بالإسلام الترجمة الواعية للإيمان العملي

.. وتمثل الإطار الضابط للعمران في التصور الإسلامي الوعي الإسلامي أحاط منظومة القيم بقدر هائل من الرعاية

العملية لمفهوم التأنس والتزكية بوصفها المقصد الأعلى الثاني في النسق الإسلامي.

وكلما كان التأنس أو كانت التزكية ترجمة عملية لتحصيل التوحيد الإيجابي في النفس كانت فعالية منظومة القيم في خلق نماذج بشرية صانعة للخير، وصانعة للبهجة.

ثالثاً: تمثل منظومة القيم الإطار الضابط للعمران بوصفه المقصد الأعلى الثالث في التصور الإسلامي، والغاية المترجمة بحق عن الإيمان بالله عن تحصيل منظومة القيمة المنبثقة منه، ذلك أن الله يقول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، والامتنان لهذا الإنشاء من جانب، والاستجابة لأمور الإعمار وتكليفاته من جانب آخر، هما من استجابة الأنواع الكثيرة المتفرعة عن منظومة القيم الإسلامية، فصار لدينا قيما فردية تميز المسلم وتمنحه شخصيته المائزة عن غيره، وتحكم خياراته ومواقفه العملية بما تجعله كائناً فريداً على الحقيقة، وصارت لدينا قيم اجتماعية تسعى إلى خدمة الخلق، وصارت لدينا قيم وطنية تفرض الانتصار للأوطان وحمايتها والبذل من أجلها.

وتحليل تراث القيم أو الأخلاق في الحضارة العلمية الإسلامية يكشف عن ظهور عناية باذخة بخطاب منظومة القيم تراه في ذلك التنوع المثير للعلوم التي نهضت بخدمتها، من مثل:

أولاً: علم التزكية أو التصوف السُّني.

ثانياً: علم الدعوة والوعظ.

ثالثاً: علم الفلسفة في فرع علم الأخلاق وتهذيبها.

رابعاً: علم التربية وتراث مصنفات التعليم.

وقد أنتجت وجوه العناية بمنظومة القيم في الإسلام باباً جليلاً ضابطاً لحركة العمران في الحياة توجه نحو التطبيق والممارسة العملية يمكن تسميته بالقيم التطبيقية أو الأخلاق التطبيقية ترجم عنها هذا التراث العريق مرتين، هما:

أ- ترجمة عامة مستوعبة في مصنفات الحسبة، وكتب الوظائف في الحضارة الإسلامية بوصفها طريقاً لإعادة النعم وإبادة النقم، على حد تعبير السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم»، وهو دليل عملي لحزم القيم والأخلاق في الحياة.

ب- ترجمة منفصلة مستقلة تختص بفحص القيم التطبيقية لكل حقل أو مجال بعينه، فظهر عندنا كتب لأخلاق الطبيب، وأخلاق المعلم، وأخلاق المريد.. إلخ.

إن منظومة القيم في الإسلام مفهوماً وماهية وتقسيمات هي الترجمة الواعية للإيمان العملي.■

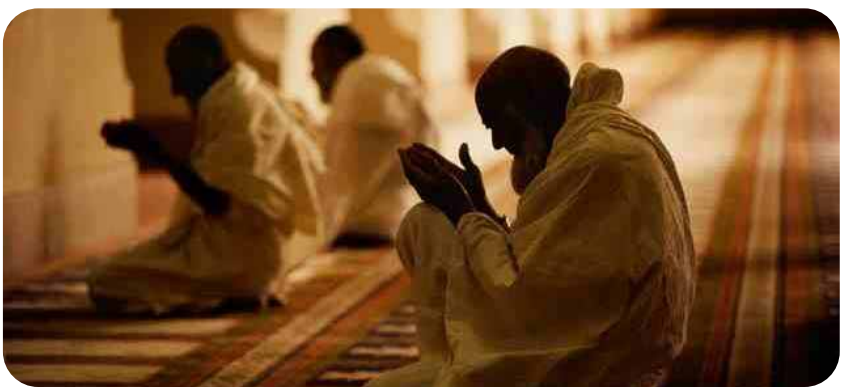

المصادر

(١) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة «ق و م» (٦/ ٦٣٤).

(٢) منظومة القيم: ماهيتها ومرتكزاتها الرئيسة، رواء كاظم مزهود، د. إبتسام محمد عبد، مجلة حمورابي للدراسات، ع ٤٨، السنة ١٢، سنة ٢٠٢٣م، ص ٦٦.

القيم.. بين المشروع الإسلامي والنظام العالمي

إن حضارة الأمم تُقاس بما لديها من فائض قيمي وتجربة إنسانية، وبما تحققه من نهضة مادية وعلمية مرتبطة بتلك القيمة، ولا توجد حضارة بلا قيم، وإن الحضارات القديمة كلها أياً كان دينها كان عمادها القيم الأخلاقية، والقوة المادية والعلمية، فإذا غاب أحد هذه المكونات فما كان لتلك الحضارة أن تقوم بداية، وإن كانت قائمة فأصابها عطب في تلك المقومات فإنها سرعان ما تسقط وتنهار، قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ١١٧).

ويعود بنا ذلك إلى نقطة فاصلة في عصرنا الحاضر، وسؤال جوهري، وهو هل يُعد النظام العالمي القائم الآن صاحب حضارة؟ وهل يعد نظاماً حضارياً حقاً، وما دلائل ذلك، وما الفرق بينه وبين المشروع الإسلامي في منطلقاته وثوابته ومقاصده؟

أ.د. جمال عبدالستار

بداية، نؤكد أن ما نراه الآن فيما يسمى بالحضارة الغربية كذبة كبرى لا علاقة لها بالحضارة أو حتى بالإنسانية، ناهيك أن يُسمى حضارة، أو تمَدُّناً وتحضُّراً، نعم إنها طفرة في الإمكانات، لكن صاحبها في الوقت نفسه تدهور في القيم والأخلاق.

والنظام الذي تعتمد منهجياته على التخلص من القيم الإنسانية والأخلاقية، والانحدار بالبشرية إلى مستوى حيواني، بل ربما أقل من الحيوانات في كثير من السلوكيات، لا يُعد مجتمعاً متحضراً مهما ملك من قوة، أو جمع من ثروة، فحينما يفقد الإنسان فيه قيمته لمصلحة الكسب الأوفر، ويصبح سلعة تُقيم مكانته في سوقها بما يملك من أموال، أو بما يُحقق من عوائد لنفسه أو لغيره، فلا تحدثني عن حضارة!

أي حضارة تلك التي جعلت الإنسان يدور كحمار الرحى ليل نهار في منظومة الرأسمالية دون توقف لمجرد أن يعيش؟! بل ويستعبده أدعياء التحضر تحت مسمى الاستعمار، ويجردونه من حيائه وإنسانيته ومجتمعه تحت مسمى الحرية والتمدن!

إن النظام العالمي الذي بذل جهوداً مضنية، وأنفق أموالاً طائلة، كانت كفيلة بإسعاد البشرية كلها، في صناعة القنابل النووية، والأسلحة الكيماوية، والأوبئة البيولوجية، وكل ما يُهلك الإنسانية، والذي سمح كذلك لثلة ضئيلة أن تعيش في ثراء فاحش على أنقاض الأمم والشعوب، لهو مجتمع حيواني، لا علاقة له بالحضارة أو القيم أو الإنسانية، بل إن ما اقترفه من جرائم يؤهله لئن يكون أسوأ من حيوانات الغابة، وذئاب الصحراء، والكلاب الضالة!

أي حضارة تلك التي أبادت الملايين من الهنود الحمر، وهجرتهم من وطنهم لتقيم على أنقاضه أمريكا رمز الحرية والسلام!

أي حضارة تلك التي تتسلط على البشرية فتقتل في حروبها العالمية المتتابعة أكثر من ٥٠ مليون إنسان على لا شيء سوى التسلط والقهر والبغي!

ثم تنتقل ببغيها وسطوتها وتسلطها إلى باقي دول العالم فتبيد الملايين في ليبيا على يد الإيطاليين، وتسفك دماء الملايين في الجزائر والمغرب على يد الفرنسيين، وأمثالهم في مصر على يد البريطانيين، وتدهس خيول الفرنسيين

النظام الذي تعتمد منهجياته على التخلص من القيم الإنسانية والأخلاقية لا يُعد متحضراً مهما ملك من قوة

أي حضارة تلك التي تسمح لثلة من المشردين الدمويين أن يتسلطوا على شعب آمن في فلسطين المباركة؟!

الأزهر ويقتلون شيوخه!

ثم يستمر النظام العالمي بالإفك والضلال في منهجيته الدموية اللاإنسانية، فيقتلون الملايين في العراق وأفغانستان، ويهدمون ويشوهون معالم حضارتهما العريقة، وقبلها يذبحون المسلمين في البوسنة والهرسك على مرأى ومسمع الجميع!

أي حضارة تلك التي تسمح لثلة من المشردين، الدمويين المعوقين ذهنياً، والملوثين فكرياً، والمشوهين إنسانياً، أن يتسلطوا على شعب آمن في فلسطين، ليحتلوا أرضه، ويشردوا أهله، ويغتصبوا مقدساته، ويقوموا بحرب إبادة جماعية، تشارك فيها تلك الدول التي ما فتئت ليل نهار تحدث الناس عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وذلك على مرأى ومسمع من كوكب الأرض كله؟!

أي حضارة تلك التي تشرع العلاقات الجنسية الشاذة، وتقيم لها المحافل، وتسن لها القوانين، وتجتهد في تحسين صورتها، وتغيير مسمياتها، وتفتح لها الأندية، وترفع لها الأعلام، وتعقد لها القداس في الكنائس؟! بل وتقوم المنظمات الدولية بسن القوانين لحماية ونشر الفحش، وإفساد الفطرة الإنسانية، وتحول ذلك الانحدار إلى معيار للتقدم من وجهة نظرها، بل أضحت توالي وتعادي عليه! إنها ليست حضارة، بل هي محرقة للإنسانية، وانحدار به من منزلة التكريم والسيادة في الأرض إلى مرتبة الحيوانية والامتهان!

بل إن تلك الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي من تخلف علمي، وتراجع حضاري، لم تكن لتحدث لولا أن الغرب صنع له أذرعاً نكدة، تسلطت على مقدرات الأمة فأفسدتها، وعلى قيمها فشوهتها، وعلى ثرواتها فأهدرتها.

من الذي يقف وراء نشر المخدرات والمُسْكرات، وإشاعة الفواحش والمنكرات، والعمل ليل نهار لتدمير البنية القيمية للإنسان في العالم بأسره!

أما المشروع الإسلامي، فنجد أنه قد تأسس بداية في منطلقاته على القيم، فمنذ أول قطرات الندي التي نزلت من السماء إلى الأرض في ٦ آيات مباركات، نلاحظ أن لفظ الإنسان قد ذُكر فيها مرتان، كما ذُكر العلم والقراءة والقلم، وعُرِّف الله تعالى فيها بالإكرام، وكأن القرآن نزل من أجل الإنسان، لتكريمه ومنحه أدوات النهوض والرقي والتحضر، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق).

المشروع الإسلامي لخصه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فجعل الأخلاق مقصد الرسالة الأبرز، فقال في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

المشروع الإسلامي الذي حينما انطلق في ميدان العلم كان تعلمه باسم الله تعالى، وليس لصناعة أسلحة الدمار الشامل، أو تشويه الفطرة الإنسانية، أو التسلط، على البشرية بصور الهيمنة المختلفة، لذا لم يؤثر عن العالم الإسلامي يوم أن ملك الدنيا علماً ومعرفة وريادة أنه احتكر العلوم والمعارف، بل كانت أوروبا تغرق في ظلمات الجهل والتخلف، في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تفتح المختبرات العلمية والمدارس الفكرية، وتبذل الخير للبشرية كلها، فلم تستخدم علومها لإذلال البشرية أو التحكم فيها، بل كان التكريم الإنساني هو المعلم الأبرز في تاريخ الأمة الإسلامية.

وعلة ذلك أن مرجعية المشروع الإسلامي ربانية في تشريعها، رحيمة في وسائلها، حكيمة في أساليبها، أخلاقية في مقاصدها، فهي مرجعية ربانية لا مجال فيها للأهواء، ولا للعلو والاستكبار، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص: ٨٣).

أما مرجعية النظام العالمي فهي مرجعية

أي حضارة تلك التي تشرع العلاقات الجنسية الشاذة وتسن لها القوانين وتجتهد في تحسين صورتها؟!

مرجعية المشروع الإسلامي ربانية في تشريعها رحيمة في وسائلها حكيمة في أساليبها أخلاقية في مقاصدها

الأهواء، والسعي لتحقيق مقاصد التجمعات والتكتلات السرية الحاقدة على البشرية، التنظيمات التي لا تشغلها قيم، ولا تعنيها البشرية في شيء، فهي لا ترى إلا مكاسبها السياسية والاقتصادية، ونشر فلسفاتها المنحرفة ساعية إلى الإفساد في الأرض بكل ما أوتيت من قوة!

واجباتنـــا

الحقيقة أن هناك واجبات يجب أن نسارع إلى القيام بها، منها:

- أن نجدد الثقة في منهجنا ومعتقداتنا وقيمنا، وأن نعض عليها بالنواجذ، وأن ندرك عظيم منة الله علينا، ومدى حاجة البشرية إلى النور الذي بين أيدينا.
- تعرية المنظومة الغربية الفاسدة، وبيان حقيقة تخلفها الإنساني، وانحدارها الأخلاقي تحصيناً لأجيالنا، وحماية لهويتنا، واعتزازاً بقيمنا.
- التوقف عن السير وراء هذا الإفك، والاعتزاز بما لدينا من مفاهيم إنسانية راقية، وقيم اجتماعية سامية، مفتاح يقيني للنجاح، وميلاد حقيقي جديد للأمة.
- التيقن بأن الناس بعيداً عن قيم الإسلام ومفاهيمه ليسوا إلا مجموعة من الذئاب ينهش القوي فيهم الضعيف، ويتسلط فيهم الغني على الفقير.
- فهم نظام الإسلام الشامل وتطبيقاته في مجالي الشعائر والإعمار، والعمل الجاد لإغاثة البشرية بتقديم القدوة الحسنة علماً وعملاً، قولاً وفعلاً، اعتقاداً وهدياً، فحاجة البشرية الى الإسلام الذي يمشي على الأرض أكثر من حاجتها لمجرد الخطابات والكلمات والمظاهر والدعايات.■

القيم في التشريع الدولي.. بين النموذجين الإسلامي والغربي

القيم شملت التشريع وأحكامه الضرورية والحاجية والتحسينية بما يخدم إقامة الدين وتشييد الأمة

القيم في النموذج الإسلامي تجري في التشريع السياسي والدولي مجرى الدم في العروق

د. محمـــود النفـــار

القيم في التشريع الدولي الإسلامي:

تتبوأ القيم في النموذج المعرفي الإسلامي مكانة رفيعة، وتضافرت الشواهد على سعي هذا النموذج لتأصيلها ثم تحصيلها، ترقية للإنسان وإقامة للعمران، وبلغت في الاعتبار الشرعي شأواً عظيماً، حتى اتخذ منها التشريع الإسلامي غاية ومنتهى للأحكام العملية والتدابير السياسية والتصرفات الدولية فتجلت بها معها معقولية التشريع وغائيته، واتساقه وائتلافه، وغدت معها القيم منشأ للالتزام بهذه الأحكام، ومعياراً لتقويم الاجتهادات والفتاوى، وقياس مدى توخيها لتلك القيم، وإفضائها إليها.

وقد تفرقت القيم على بناء التشريع كله، وتناثرت في أحكامه الضرورية والحاجية والتحسينية، بما يخدم إقامة الدين، وتشييد الأمة الشاهدة على الناس، ولكل مرتبة من هذه المصالح آصرة بالقيم، ووشيجة بالبناء القيمي للأمة، ورابطة بأحكام التشريع الدولي الذي تتحرك به الأمة لتتمثل الخلافة وتقيم العمران، فالمصالح الضرورية تتوخى حفظ نظام الأمة بحيث لا تشبه أحوالها أحوال الأنعام، والمصالح الحاجية تتوخى انتظام أمور الأمة على وجه حسن فيما لا يبلغ مرتبة الضروري، والمصالح التحسينية تتوخى كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع وارتقاء المدارك في مرأى بقية الأمم، فيُرغب في الاندماج فيها والتقرب منها[1].

وإذا كانت القيم تحظى بهذه العناية والرعاية، فإن الإبطاء في تأصيلها نظرياً والتقاعس عن إنفاذها عملياً أمران باطلان يحرم المصير إليهما، أو التسبب فيهما، لمصادمتهما قطعيات الشريعة، ومعارضتهما مقاصد الشارع.

وينتظم النموذج الإسلامي القيم والمصالح في إهاب واحد يضمّ في جنباته انضواء المصالح على قيم ثاوية، ونهوض القيم نفسها كمصالح من حيث هي معان معقولة المعنى ثابتة بالاستقراء، وممكنة التنزيل في واقع المكلفين من خلال ضروب الاجتهاد بالرأي، وهو بذلك يتغاير مع النموذج الغربي الذي يعيش أزمة معرفية فكرية وأخلاقية في ضبط العلاقة بين القيم والمصالح، حتى انشطر إلى مدارس مختلفة

تطرفت في جهتي الواقعية والمثالية، ولم تجرِ على استقامة منهجية أو واقعية.

والقيم في النموذج الإسلامي تجري في التشريع السياسي والدولي مجرى الدم في العروق بالنظر إلى قِيَمِيّة السياسة نفسها في الوضع اللغوي الذي يربط بين السياسة والفطرة، والاصطلاحي الذي يجعل نشدان الصلاح حقيقتها وغايتها، حتى استعملت في التعبير عن ترويض النفس، ورعاية ذوي الإنسان من الأهل والذرية.

ثمّ إنّ هذه القيم القارة في النموذج المعرفي والماثلة في الحضارة الإسلامية تعمل بشكل جماعي وتكاملي، ينتظمها النظام الإسلامي، ويتفرع عنه أو يتصل به جملة كبيرة من المفاهيم والأحكام، والخبرات والتجارب، يمكن معها إعادة بناء قواعد النظام والقانون الدولي على أساس من التوزان الدقيق بين المصالح الدولية خصوصاً في حالات الاختلاف والاعتداء، بما يدفع الضرر قبل حصوله، ويزيله بعد نزوله، ويخفف منه إذا تعذر دفعه بالكلية جبراً وتعويضاً، بغض النظر عمن أنشأ الضرر أو من حلّ به، اعتداداً بالكرامة الثابتة للإنسان بمقتضى إنسانيته، وبذلك يتحقق الخير للمجموع الإنساني والدولي، ولعل هذا أحد تجليات قضاء الله تعالى بإتمام نور الله عالمياً بإزاء إتمام الأخلاق، وشيوع الرحمة دولياً بإزاء منع كل أشكال الظلم والعلو في الأرض.

وتبدأ هذه القيم بالتعارف المقتضي للتواصل الحضاري، وتمر بالتعاون المقتضي للتشارك الإنساني وتنتهي بالتعاضد المقتضي للتواثق المصلحي، ويتبوأ العدل قيمة عليا في النموذج المعرفي الإسلامي، تستبين معه الحقوق، وتتأسس عليه التعاقدات، وتتحدد بحسبه الالتزامات، وهو بالتالي ليس مفهوماً نظرياً مثالياً وهلامياً، بل مفهوم واضح المعالم، انعقدت خيوطه في نظام تشريعي كامل.

وتجلي القيم واقعية التشريع الإسلامي بالنظر إلى أصالة القيم في البناء الفطري الإنساني، فهو (الإنسان) في المنظور الإسلامي مخلوق قيمي طبعاً بالنظر إلى أصل خلقه وتكوينه، ثم إنه مخلوق قيمي كسباً بالنظر إلى غاية التشريع المنزل إليه، وفي ضوء هاتين الحقيقتين يتحدد التشريع الإسلامي في الحقل السياسي والسياق الدولي.

الوثائق الدولية التي خطّها مفكرو النموذج الغربي بالمنظمات الدولية ضرب من النفاق السياسي والدولي

منصفو الغرب أدركوا حقيقة فشل النموذج الغربي في تأسيس نظام دولي يحقق الأمن والاستقرار

القيم في التشريع الدولي الغربي:

تعمل القيم الإسلامية كنسق في منظومة وفي مقدمتها العدل، وهي بالتالي تمتاز عما اشتهر في النموذج المعرفي الغربي من أنظار قيمية جزئية أو انتقائية، وتضاد كل محاولات حصر القيم في إطار زماني أو مكاني، أو في سياق جماعة أو أمة بعينها، ويرجع هذا الامتياز لا إلى تعيين القيم كالعدل والمساواة ونحوهما إذ لا يخلو من التصريح بهما تشريع أو أمة، بل إلى بيان المرتكز الذي تستند إليه تلك القيم، فالعدالة والمساواة في التشريعات الغربية تتفرع عن المذهب الفردي، الذي يمجد فردية الحقوق، دون الاحتراس لحقوق الغير، فانعكس هذا الانشطار في السياقات المختلفة بما فيها السياق الدولي، مما أجحف بحقوق الكيانات الأخرى، وهدد النظام العالمي، وأهدر المصالح العامة الدولية، فلا تكون له (النموذج الغربي) صلوحية والحال هذه بالجدارة التشريعية فضلاً عن الأفضلية المدعاة.

ويتلبس هذا النموذج صنوف من التجزئة والانشطار والعزل والاختزال والتعسف والابتسار تجافي في جوهرها قيمة العدل الشامل، وتهدم لأركانه، وهي بالتالي تؤسس لمنظومة قيمية سلبية جماعها الأنانية والأثرة، وأساسها الظلم والعدوان، ومآلها الاضطراب والاختلال.

وقد أثمرت ضروب الاختلال الفكري والقيمي المقصود هذا عطب موازين القيم، وتجاهل حقوق الأمم ومصالح الدول الأخرى في السياسة الخارجية للدول الغربية، واختلت معه أسس العلاقات وقواعد القانون الدولي حتى ابتدعوا فكرة الاستعمار الذي هو في حقيقته شر مستطير وتخريب فادح

وإفساد عريض في الأرض، ومن أظهر صوره في الواقع المعاصر المشروع الصهيوني الذي ورث الاحتلال الإنجليزي لفلسطين وقام على أنقاض شعب وتراثه ومقدساته.

وإذا كان العدوان على نفس واحدة في المنظور القرآني هو قتل للناس جميعاً بالنظر إلى مآل هذه الجريمة التي تبدو منعزلة فيما هي جريمة دولية، فكيف يمكن النظر إلى جريمة إبادة جماعية وتطهير عرقي جارية على مدار عقود وعلى مسمع ومرأى العالم كله؟! كما ابتدعوا صوراً أخرى من سرقة مقدرات الأمم الأخرى باسم الإقراض يخفي وراءه أكل الأقوياء لأموال الضعفاء بالباطل وتعبيد المعوزين للمستكبرين بالربا الفاحش.

وأما تلك الوثائق الدولية حسنة الألفاظ جميلة الكلمات التي خطتها أيدي مفكري النموذج الغربي في المنظمات الدولية وفي وثائق السياسات الخارجية، فلا تعدو أن تكون ضرباً من النفاق السياسي والدولي لأنها تخفي وراءها الانشطارية في مفهوم الحق ومفهوم العدل، التي يكشف عنها الاستخفاف بهذه المواثيق والمؤسسات القائمة على رعايتها حينما تتعارض مع مصالحها أو مصالح حلفائها[٢].

المشروع الإسلامي وسؤال التجديد القيمي في ضوء «طوفان الأقصى»:

تمثل القيم مدخلاً منهجياً مهماً في تبيّن اختلال أسس العلاقات الدولية وقواعد القانون الدولي التي تم تأسيسها على قيم مبسترة، ونفاق يخفي وراءه تحيزاً كبيراً ضد مصالح الأمة الإسلامية تحديداً.

وقد كشفت معركة «طوفان الأقصى» عن تداعي النموذج الغربي وانكشاف قيمه المدعاة لا في الأمة الإسلامية فحسب بل في الأمم كلها بما فيها الأمة الغربية، بسبب الدعم اللا متناهي لدولة الاحتلال الصهيوني التي باتت رمزاً وأنموذجاً على الدولة المارقة التي تمتهن الكرامة الإنسانية، وتجردت من كل معاني الرحمة، وأخذت تقتل الأطفال والنساء والشيوخ ولم تترك جريمة إلا واقترفتها بما يجعلها الخطر الدولي الأكبر على البشرية اليوم بسبب تشجيعها على هدم كل القيم التي تحفظ الكينونة الإنسانية، والسلم العالمي،

معركة «طوفان الأقصى» في فلسطين المحتلة كشفت تداعي النموذج الغربي وانكشاف قيمه المدَّعاة

وإنّ أجدر الأمم بملء هذا الشغور الحضاري هي الأمة الإسلامية بما هي أمة قيم، وأجدر الشرائع بإقامة عمران النظام الدولي المعاصر هي شريعة الإسلام بما هي شريعة قيم.

وإنّ البشرية بشكل عام والمنصفين في الغرب اليوم أكثر استعداداً من أي وقت مضى لإدراك حقيقة فشل النموذج الغربي في تأسيس نظام دولي يحقق الأمن والاستقرار، لذا يتوجب على أرباب المشروع الإسلامي أن يبذلوا وسعهم في التنظير للنموذج الإسلامي في العلاقات الدولية المتأطر بالقيم والمحقق للمصالح، وأن يبعثوا في المخيال الغربي الرغبة لتبصر القيم الإسلامية، وتجاوز الدعاوى الزائفة التي يراد منها الحيلولة دون التواصل الحضاري مع الغرب.

وكي يتحقق هذا السعي بشكل ملائم لا بد من مشورة الخبراء في ابتداع وسائل ملائمة مثل صياغة مواثيق قيمية، وأدلة عمل قائمة على تلك الموازين القيمية والمعايير الأخلاقية يسعى بها المفكرون والمشتغلون بالعمل السياسي من المحسوبين على الفكرة الإسلامية في أروقة الجامعات ومراكز التفكير والمؤسسات الحقوقية والمنظمات الدولية كي يوسعوا دائرة الاهتمام بالمدخل القيمي الإسلامي في العلاقات الدولية، ولا يخفى أن للوسائل المثمرة أحكام مقاصدها، ومن المهم في هذا السياق الإشادة والدعوة إلى الإفادة من الجهد الموسوعي الذي أسهم فيه رواد مدرسة المنظور الحضاري الإسلامي وخاصة د. سيف الدين عبدالفتاح، ود. نادية مصطفى.

كما لا بد من تشغيل القيم الإسلامية في بناء مشتركات دولية، مثل قيمة التعاون التي جاء الأمر بها مطلقاً في القرآن الكريم، وهي في نظرنا آكد في المجال الدولي لعظم المصالح والمفاسد التي تترتب على التصرفات الدولية، ولذا وصف القرآن الكريم قيمة السعي على إحياء نفس واحدة بأنه إحياء للناس جميعاً في مقابل جريمة القتل الفردي ظاهراً والدولي مآلاً. ■

الهامشان:

[١] محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (٣/ ٢٣١-٢٤٣).

(٢) محمد فتحي الدريني، فلسفة أصول سياسة التشريع القائمة على مفهوم العدل في الإسلام، (مجلة هدى الإسلام، وزارة الأوقاف السورية، مج: ٤١، ع: ٥، ١٩٩٧م)، ١٨-٢٨.

الإدريسي: الإصلاح لكي يضطلع بأدواره الإستراتيجية لا بد أن يُؤطَّر بمنظومة من القيم الكبرى

أمحجور: حضور المرجعية الإسلامية في العمل السياسي ينبغي أن يكون حضوراً وظيفياً

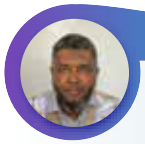

الشيخ سيديا: لا يمكن أن يكون هناك إصلاح سياسي دون إرساء مجموعة من القيم الإسلامية

دور القيم في الإصلاح السياسي..

من الالتزام الفردي إلى الاستقامة السياسية

الرباط – عبدالغني بلوط:

يشغل بال المهتمين بالسياسة؛ منظرين أو ممارسين، دور القيم في الإصلاح السياسي؛ إذ غالباً ما يتم طرح سؤال الأثر الإيجابي لحضورها في العمل السياسي، أو أثرها السلبي عند تهميشها أو تغييبها.

ويرى خبراء ومحللون، في تصريحات متطابقة لـ«المجتمع»، أن الإصلاح السياسي لا يمكن أن يقوم إلا على يد أناس تربوا وتشبعوا بقيم العدل والمساواة، ومؤسسات قامت ونشأت على أساسها، وظهر ذلك في السلوك اليومي والممارسة السياسة، إذ لا يكفي الحديث عن القيم وإعلائها في محافل الخطابة، دون أن تتجسد في اتخاذ القرار ومشاركته وتنفيذه بالحكمة والمشورة اللازمين، بما يخدم مصالح الوطن والمواطنين.

يُعتبر الإصلاح السياسي من بين أهم مداخل الإصلاح التي لها تداعيات كبيرة ومؤثرة على جميع المجالات والميادين، بل يمكن اعتباره قُطب الرحى بالإضافة إلى الإصلاحين التربوي والإصلاح الاقتصادي.

ويؤكد الأكاديمي المغربي **عبدالعزيز الإدريسي** أن هذا الإصلاح، ولكي يضطلع بأدواره الإستراتيجية في تحقيق التّنمية والديمقراطية والكرامة، لا بد أن يؤطر بمنظومة من القيم الكبرى، التي تعد مجموعة من المعايير التي تؤطر قناعات الإنسان الداخلية وتصوراته الجوانية والقواعد التي تنظم مسلكيات الإنسان الخارجية وتصرفاته البرانية.

ويشدد الباحث المغربي في الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح أن ذلك تقوم به نخبة مؤمنة بهذه القيم والحرية والعدل والكرامة والشفافية والإنجاز والعمل والكفاءة والاستحقاق، بل تعمل على تمثلها أولاً في ممارساتها سواء في تنظيماتها وهيئاتها، وثانياً تعمل على تحقيقها في ميادين تولّي المسؤولية بما يضمن كرامة المواطن ورفاهيته، مستحضرين في ذلك بعض التجارب الناجحة سواء في الماضي أو الحاضر.

ويبرز أن قيمة الحرية، مثلاً، التي تعتبر من أمهات القيم السياسية عند الالتزام بها تضمن حرية التعبير وتكافؤ الفرص والتداول السلمي للسلطة وتدبير الاختلاف بشكل ديمقراطي بين الفرقاء السياسيين، بل تضمن التقسيم العادل للثروات والشورى في اتخاذ القرارات، إذ إن غياب الحرية له آثار وخيمة على المجمعات؛ حيث يؤدي إلى تفشي القمع والاستبداد والفساد سواء على مستوى الأفراد والمؤسسات.

استقامة سياسية

من يشتغل بالسياسة من منظور قيمي يعترف بأهمية الاستقامة الفردية والحديث عن إعلاء قيم عامة مثل الشورى والعدل، لكن ذلك كافٍ لتوطين القيم في منظومة الإصلاح السياسي.

ويرى المحلل السياسي المغربي **محمد أمحجور** أن حضور المرجعية الإسلامية في العمل السياسي ينبغي أن يكون حضوراً وظيفياً يمنح عمقاً إصلاحياً للممارسة السياسية، وتكون الاستقامة في العمل السياسي استقامة سياسية، بحيث لا تكون الاستقامة الشخصية والتدين الفردي بديلاً عنها.

ويبرز أن من الاستقامة السياسية إعمال سياسات عمومية إجرائية وفعالة وذات أثر على الحياة اليومية للمواطنين، ومن ذلك الإجراءات التي تنزل وتحقق قيم الحرية والعدل والكرامة، وتدفع الظلم والفقر، وتدعم قيم النزاهة والشفافية ومحاربة الفساد، وتضمن الحرص على المال العام وحسن التصرف فيه، وتعلي من خدمة الشأن العام وقضاء حوائج الناس دون منٍّ أو أذى.

ويشير إلى أن الاستقامة السياسية بهذا المعنى تكون أرضية صلبة للمفاضلة بين السياسيين والمتصدرين للشأن العام، وتكون ميزان التحالفات والائتلافات، وتكون أيضاً مقياساً موضوعياً نقيس من خلاله درجة القرب أو البعد عن قيم الإسلام الهادية في السياسة والحكم.

مكافحة الفساد

لا يمكن أن تقوم قائمة أي إصلاح سياسي دون تكاتف قوى المصلحين على محاربة الفساد، إذ يشير عدد من الدراسات أن انتشار الرشوة، مثلاً، يبرز الانتهازيين في السياسة، ويهدد التماسك الاجتماعي، ويقتل حماس المستثمرين.

ويبرز الأكاديمي الموريتاني **إسماعيل موسى الشيخ سيديا** أنه لا يمكن أن يكون هناك إصلاح سياسي جاد، دون إرساء مجموعة من القيم التي يحث عليها ديننا الإسلامي، وهي قيم من شأن الاستمساك بها أن نقيم حكامة إسلامية راشدة، وعلى رأس تلك القيم مكافحة الفساد الذي ينخر في جسم مجتمعاتنا، ويقف حجر عثرة في وجه كل محاولات النهوض.

ويضيف الباحث والمهتم بتاريخ الصحوة الإسلامية المعاصرة أن للفساد أوجهاً متعددة تطال معظم مناحي الحياة العامة، فهناك الفساد في الناحية السياسية الذي يؤدي إلى تكميم الأفواه ومصادرة الحريات، ومنع القوى الحية من المساهمة في معركة البناء الوطني، وهناك الفساد في المجال الاقتصادي الذي يجعل من مشاريع النهوض حبراً على ورق، ويهدر الكثير من الطاقات فيما لا طائل من ورائه.■

مصدر القيم في الإسلام الوحي الإلهي المطلق بينما مصدرها بالغرب العقل البشري القاصر

مركزيـة القيـم.. بين الوازع الدينـي الإسلامي والإرغام القانوني الوضعي

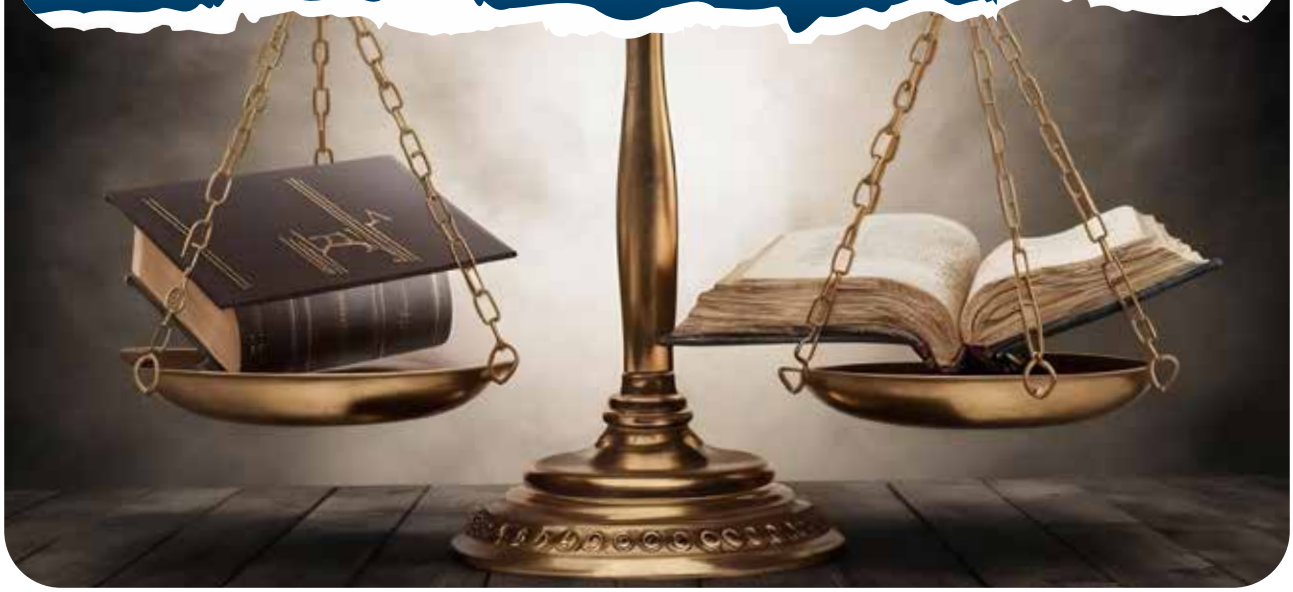

ناصر حمدادوش
برلمانـي جزائـري سابـق

يعتبر ابن خلدون فيلسوف الحضارة، ومنظِّر علم الاجتماع الإسلامي، ولعل من المسائل الدقيقة التي أشار إليها بعمقٍ في كتابه «المقدِّمة»: البداوة السياسية الطاغية على السُّلوك العربي في مسألة الحكم، والتقاليد العربية العصيَّة عن النظام، والثقافة المتمرِّدة على بناء الدولة ومركزية السُّلطة، وأنه لا يمكن ترويض هذه الشخصية العصيَّة بالعُرف والتقاليد والقانون، إذ لا سلطان على النَّفس العربية الأبيَّة إلَّا بميزان القيم ووازع الدِّين، وهو وازعٌ ذاتيٌّ أثبت التاريخ قدرته السِّحرية على ما عجزت عنه أيُّ قوَّةٍ أخرى.

وهو ما أكَّده كذلك فيلسوف الحضارة في العصر الحديث مالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) في كتابه «شروط النهضة»، في فصل «أثر الفكرة الدِّينية في تكوين الحضارة والدور الفعَّال لها في بناء الإنسان».

ذلك أنَّ هويَّة أيِّ فردٍ أو مجتمعٍ أو دولةٍ أو حضارةٍ تتشكَّل من مجموعةٍ من القيم التي يؤمن بها ويتمثَّلها، وأنَّ من عناصر القوَّة لها هو مدى قوَّة هذه القيم والتمسُّك بها، بل وتصديرها، وأنَّ الإفلاس القيمي والأخلاقي مؤشر انهيار الحضارة، مهما تكدَّس المنتَج المادي والتكنولوجي، كما قال تعالى، وهو يشير إلى المنتَج المادي والبعد الرُّوحي والقيمي للحضارة: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الرُّوم: ٩).

ذلك أنَّ جوهر الدِّين ليس في جانبه التعبُّدي الشعائري، بل في جانبه القيمي الأخلاقي، وهي

القيم الإسلامية مُطْلَقة ومسلَّمٌ بها قناعة وسلوكاً وهي لا تتغير بتغير الزمان والمكان

.. بينما يسهل تجاوز القيم الوضعية إذ لا سلطة لها عليه بلا وازع ديني ولا رقابة سلطوية

صبغةُ الله الظاهرة على الإنسان، التي تثمِرها الحالة التعبُّدية الحقَّة والمشاعر الإيمانية، كما قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ (البقرة: ١٣٨).

الثمرة الأخلاقية

فالثمرة الأخلاقية للدِّين هي الرِّسالة الحقيقية للإسلام، وهي القيم والأخلاق، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق»، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يُمدَح بمثل ما مُدح بصبغته الأخلاقية، وأنه لم يستحق ذلك إلا لأنها معركته الحقيقية في التديُّن الصحيح، فقال تعالى عن هذا الإنجاز السُّلوكي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وأنَّ تديُّن العبادات لا يُغني من اللَّه شيئاً إنْ خسِر الإنسان تديُّن القيم والمعاملات، فقد روى الإمام أحمد في مسنده: أنّ امرأة تُذكر من كثرة صلاتها وكثرة صيامها وكثرة صدقتها (العبادات)، إلاّ أنَّها تؤذي جيرانها بلسانها (المعاملات)، فقال: «هي في النَّار..»، وأنَّ العبادات إنما شُرِّعت لتحقيق هذه الثمرة الأخلاقية، فقال تعالى عن الصلاة مثلاً: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)؛ أي تقويم السلوك.

كل ذلك يُحيلنا على حقيقة، وهي مركزية القيم والأخلاق في التغيير والإصلاح وضمانات تطبيقها بين الوازع الديني في المشروع الإسلامي، والإرغام القانوني في النظام الوضعي.

تعتبر منظومة القيم مركزية في التشريع الإسلامي، وقد تم التركيز عليها عند علماء الإسلام ضمن دائرة التزكية النفسية والسمو الروحي والتهذيب السلوكي عبر الوازع العقدي، فإذا كان التصور العقدي الذهني ضمن دائرة أركان الدين الستة، وكان التصور العملي الشعائري ضمن دائرة أركان الإسلام الخمسة، فإن منظومة القيم تضبطها دائرة الإحسان عبر الرقابة الإلهية: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»؛ وهو ما يعني أن منظومة القيم الإسلامية ترقى في سُلَّم القيم إلى سمو المصدر الرباني لها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٩).

وهي القيم العليا والمُثُل الإنسانية السَّامية التي تتَّسم بالربانية والشمولية والثبات والتوازن والعالمية، وهو ما يعني أنها صحيحة، دائمة وشاملة، وفي نسقٍ منظم، متكاملٍ ومتناغم، لتحقيق مصالح الإنسان في المعاش والمعاد.

وهو ما يؤكده الشيخ محمد متولي الشّعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١)، فيقول: مركزية القيم بين الوازع الديني الإسلامي والإرغام القانوني الوضعي.

وهو ما يختلف جذرياً عن منظومة القيم في النُّظم العالمية، التي ترتكز على إلغاء دور الدين في ضبط سلوك الإنسان بالقيم الوضعية.

المعايير المادية محلّ الدينية

فعندما تمَّ الفصل في المنظومة الغربية بعد الثَّورة على الكنيسة بين الدين والدولة حلَّت المعايير المادية محلَّ القيم الدينية، فأصبحت زاوية النظر المادية المعيار المحدِّد للعلاقات الاجتماعية وللقيم السائدة، فحدث نوعٌ من الصراع بين بُعْدي الإنسان المادي والروحي، فصار الإنسان في الغرب تتقاذفه سلطتان منفصلتان؛ سلطة دينيَّة مسيحيَّة، وسلطة زمنيَّة مادية عقلانيَّة.

فمصدر القيم في الإسلام الوحي الإلهي المطلق، بينما مصدر القيم الوضعية في الغرب العقل البشري القاصر، فمعرفته نسبيَّة وظرفية ومحدودة، كما أن النظرة الغربية إلى القيم تقوم على اللَّذة والمنفعة المادية فقط، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

فالقيم الإسلامية مطلقةٌ ومسلَّم بها قناعةً وسلوكاً من المسلم، وهي لا تتغير بتغير الزَّمان والمكان، كما أنَّ سلطة هذه القيم تُستمد من قوَّة مصدرها وهو الوحي، مما يجعلها مقدَّسة تدفع الإنسان إلى التَّمسك بها طواعية واختياراً، بينما يسهل تجاوز القيم الوضعيَّة والتفلُّت منها، إذ لا سلطة لها عليه، بلا وازع ديني ولا رقابة سلطوية.

كما أن القيم الإسلامية الرَّبانية لها تأثيرها على الإنسان في جميع معاملاته وعلاقاته، بينما يكون تأثير القيم الوضعية عليه جزئية وانتقائية وظرفية، فيقول د. يوسف القرضاوي: إنَّه (الإسلام) لا يجيز أبداً تقديم الأغراض الاقتصاديَّة على رعاية المُثُل والفضائل التي يدعو إليها الدِّين، في حين نجد الأنظمة الأخرى تُؤْثِر الكسب الاقتصادي ولو على حساب الأخلاق ومقتضيات الإيمان.

تمتاز القيم الإسلامية عن القيم الوضعية التي تنادي بنفسها أنها قيمٌ مرتبطة بعمقها العقدي والإيماني، وأنها إنسانية أصيلة متطابقة مع الفطرة الإنسانية، وأنها عقدية مرتبطة بمحفزات الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي.

وبالرغم من هذا العمق الكبير للقيم الإسلامية، فإننا نجد إشكالية واقعية، تتمثل في ضعف فاعلية هذه القيم وانعكاساتها في السلوك الواقعي في علاقة المسلم مع الله والنفس والإنسان.

إنَّ بين القيم التي نؤمن بها وقوة الالتزام بها على مستوى الفرد والمجتمع والدولة جهد في إعادة استدعائها إلى دنيا البشرية برؤية تجديدية معاصرة، تضمن الأمل في الاستئناف الحضاري للمشروع الإسلامي من جديد.■

بين القيم التي نؤمن بها والتزامها أفراداً ومجتمعاً جهد في إعادة استدعائها برؤية تجديدية

دور منظومة القيم في المنحنيات الحضارية للخلافة الإسلامية

أ.د. حمـــدي شاهيـــن

يعد تغير قيم المجتمعات من أبرز مسببات التغيير السياسي فيها، كما تصح العلاقة العكسية حيث تقود التغيرات السياسية الكبرى إلى تغيرات كبرى في القيم الاجتماعية والفردية، ويزخر التاريخ الإسلامي بشواهد عديدة على ذلك.

تمازج القيم نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية:

أدت حركة الفتوحات الإسلامية الواسعة التي شهدتها الدولة الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بروزها دولة عالمية متعددة الأعراق والديانات واللغات، وأصبح العنصر العربي الحاكم أقل عدداً أمام الموجات البشرية الوافدة، وتراجع الالتزام الأخلاقي بقيم عصر النبوة وبدايات الخلفاء الراشدين، من زهادة في الدنيا، واستمساك بالمثل الديني الأعلى، واعتزاز به، وبلغ الشعور بذلك التغيير إلى حد أن قال الفاروق عمر في أخريات خلافته: «اللهم مللتهم وملوني فاقبضني إليك»، وإلى حدّ أن سأل رجل علياً بن أبي طالب في خلافته: ما بال المسلمين اختلفوا عليك، ولم يختلفوا على أبي بكر، وعمر؟ فقال: لأن أبا بكر، وعمر كانا واليين على مثلي، وأنا والٍ على مثلك! وحذر عثمان بن عفان من خطورة ما سيترتب على ذلك الانفتاح الاجتماعي المتسارع، فقال في خطبته في مطلع خلافته: «إن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن»، حيث سيُحمل القرآن على غير وجهه بسبب عجمة اللسان وموروث الثقافات السابقة.

ولكن هذه المخاوف لم تكن حائلاً دون بذل الحقوق ونشر العدالة في أهل البلاد المفتوحة، وما زالت صيحة عمر بن الخطاب باقية عبر العصور حين قال لعمرو بن العاص، واليه على مصر: «متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!».

جدلية قيم الوحدة الإسلامية والاعتزاز القومي:

ولم يكن من المتصور أن ينخلع أهل البلاد المفتوحة من موروثاتهم الحضارية كلية بمجرد دخولهم في الإسلام، بل ظهرت بمرور الزمن الضلالات الفكرية، والانحرافات العقائدية، وترك بعضها آثاره على بعض المذاهب الإسلامية، والمعارك الكلامية، والمدارس الفلسفية، بل كوّن بعضها فرقاً صاخبة تخالف الإسلام

بمرور الزمن ظهرت على أهل البلاد المفتوحة الضلالات الفكرية والانحرافات العقائدية

القيم السياسية والاجتماعية تتباين درجات فهمها ومستويات الالتزام بها مثل الشورى والحرية

بمضي الزمن ندر الاجتهاد وساد الجمود وأهملت علوم الحياة بينما اعتنى الغرب بتلك العلوم

جملة، وتنتظم في حركات ثورية ضد الدولة كالراوندية والخرمية والمزدكية.

وكان انتشار الإسلام في تلك البلاد يمتزج أحياناً بمشاعر أهلها القومية، واعتزازهم العرقي بدورهم الحضاري العالمي السابق على الإسلام، فثارت دعوات للمساواة بين العرب وغيرهم، وكانت دعاوى الشعوبية والتعصب القومي تستتر خلف شعارات المساواة، فكان رد فعل الدولة الأموية مزيداً من نشر الإسلام وتعميق آثاره، ومزيداً من نشر اللغة العربية، وتعريب أنظمة الدولة ومظاهر الحياة في تلك الأرجاء، واتسمت ردود بعضهم في مزيد من التعصب للعرب وغمط الآخرين، غير أنه لم يمض وقت طويل حتى تمظهرت تلك العصبيات القومية في دول مستقلة، كما حدث في العصر العباسي الثاني، مما أضعف وحدة الدولة وسلطة الخلافة.

وامتزج الاعتزاز القومي والحمية الدينية على امتداد عدة قرون، فلم يكن أحدهما نقيضاً لآخر بالضرورة، فظهر في هذه الدول المستقلة علماء كبار شغلوا الدنيا، وبرزت مراكز حضارية عظمى قدمت إلى الإسلام عطاء خالداً، وهل ينسى التاريخ رجالاً أمثال البخاري، ومسلم، النيسابوري، والترمذي وابن ماجه؟ وهل غابت شمس بخارى وسمرقند ونيسابور وغزنة وهراة؟ هذا في الشرق وحده، فما بالنا بالمغرب والأندلس وحواضرهما قرطبة وطليطلة وإشبيلية، وفاس ومراكش وشنقيط؟ وما زال الأثر التاريخي العظيم للمرابطين الذين أطالوا عُمْر الأندلس في الإسلام قروناً، وللغزنويين في فتحهم الهند، والسلاجقة الذين أوطؤوا الإسلام آسيا الصغرى، وبذروا بذور الدولة العثمانية.

قيم الحرية السياسية والشورى:

من شأن القيم السياسية والاجتماعية أن تتباين درجات فهمها، ومستويات الالتزام بها، ومن ذلك قيم الشورى وممارسة الحرية السياسية، ويمكن فهم بعض أحداث الفتنة الكبرى زمن عثمان، وعليّ، في ضوء ذلك، إذ اتفق كل الفرقاء على الإقرار بها والسعي لتطبيقها، ثم اختلفوا في فهم حدودها والمواءمات بين تلك الفهوم والمصالح العليا للدولة الناشئة، ووحدتها، واستقرار النظام السياسي بها، فترجم الثوار على عثمان ذلك الفهم إلى ثورة جامحة تبغي عزل الخليفة، ولم يستجب الخليفة؛ إذ رأى أن الثائرين جماعة مارقة ليسوا من أهل الحل والعقد، والتولية والعزل، مع الإقرار بحقهم في التعبير عن آرائهم ومواقفهم في إطار سلمي، فأودت الثورة به، وأودت معه باستقرار الدولة وتجربة العصر الذهبي لها، ليقوم على إثرها نظام سياسي وقيمي جديد.

قيم التعلم والجدل حول أشرف العلوم:

ويُعد التعلم من قيم المسلمين العظمى، وعليه شادوا حضارة باذخة، وتتفاوت الرغبة فيه والقدرة عليه بين آحاد الناس، أما على المستوى الجمعي فتتمايز العلوم بين فروض العين التي تعني أفراد الأمة،

وفروض الكفاية التي تخص الأمة في مجموعها، وحافظ المسلمون في عصور ازدهارهم على هذا التوازن الدقيق بين هذين النوعين، لكنهم في عصور التراجع والضعف اختلت بوصلتهم، فوجدنا من يفرق بين شريف العلوم ووضيعها، ويجعل عوم الشريعة في أعلى مراتبها، والعلوم الطبيعية كالرياضيات والفلك والطب في أسفلها.

قال أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) في المقارنة بين الفقه وعلوم الطب: «حاشا لله أن أسوي بين العلمين في الشرف والرتبة»! فاستحوذت علوم الشريعة على كثير من ذوي العقول النابهة، وحققوا بالفعل إنجازات كبرى، غير أنه بمضي الزمن ندر الاجتهاد، وساد الجمود، بينما أهملت علوم الحياة الدافقة من طب وهندسة وفلك وطبيعيات وغيرها، في حين تقدمت أمم الغرب بعنايتهم بتلك العلوم، وتسخير إمكاناتهم السياسية ومواردهم الاقتصادية في دعمها، ودفعت الأمة أثماناً فادحة لتأخرها في تلك العلوم، حيث وقفت عاجزة عن صد الطامعين فيها الذين امتلكوا أزمَّة العلم وقوته المادية الكاسحة.■

منظومة القيم الإسلامية.. وجاذبية التقاطع الحضاري

القيم تتفرد بكونها أهم الممكنات الإسلامية على صعيد المجتمع والدولة

لعل واحدة من أبرز العوائق على صعيد التقاطع الحضاري بين الأمم، أنَّ منطق القوة المستكبرة لم يترك مجالاً لإعمال منطق العقل والحق والعدل، ففي صخب الصراعات التي تتصاعد وتيرتها بكل عنفوان وطيش، لا نلمس رغبة صادقة في الإنصات إلى صوت الحكمة في أجواء التفاهم المتكافئ، وما نسمعه حول مقولات التعايش المتسالم، وما نراه من سجالات ومداولات حول الحوار المتكافئ والجوار المتأسّس على الاحترام، ليس سوى مقولات فارغة وشعارات جوفاء!

د. عطيــة الويشــي

على الرغم من امتداد يد الخير المسالمة الميّالة بفطرتها إلى التفاهم الحضاري، والتباحث حول الهموم الإنسانية المشتركة والقضايا والمشكلات المشتبكة، غير دافعة منذ قديم الزمان إلا بالتي هي أحسن؛ ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٨)، فإن التيار القابيلي، في كل زمان ومكان، فاشيٌّ بغلبة طبْعِه الشرِّير، فلا يؤمن بمبدأ المنافسة الشريفة، أو بقيم الحوار المتكافئ الذي يفضي إلى جوار حُر كريم، ولا يجيد سوى لغة العنف والمنطق الحَدِّي الذي لا يدع مجالاً للخير أن يتنفس بحرية ويعيش بأريحية.

وهكذا استحالت مشكلة ابني آدم من مجرد خلاف موقفي إلى وباء اجتماعي لم يلبث أن تفشَّى في شرايين العمران البشري، بتجلياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية، وأصبح تيار العنف يستند إلى آلة ضخمة تعمل بإيعاز من المذاهب والفلسفات والنُّظُم والمؤسسات والحكومات التي لم تنفك عن قطع كل طريق على أي فرصة سانحة أمام شعوب العالم كي تلتقط أنفاسها في سياق هذا التسابق المحموم نحو السيطرة والاستحواذ والتفرُّد بسيادة السلطة ومقاليد الثروة!

والحقيقة، أنّنا بتنا أمام تساؤلات محرجة تتعلق بمدى قدرة الفكر الإسلامي على إنتاج مقاربات تجديدية تتجاوز منعطف الاختباء خلف خطوط ما يُسَمَّى «الدفاع عن الإسلام» إلى إستراتيجية المكاشفة والمواجهة من خلال استثمار الوسائل التقنية وأدوات التواصل من أجل العمل على إيجاد أرضيات عمل جديدة للتعريف بالإسلام وحقائقه ووظائفه في هذا الوجود.

مشروع حضاري واقعي

ولعل أحد تلك الأسئلة الأكثر إحراجاً، إنما تتعلق بمدى مصداقية حيازة الفكر الإسلامي تصورات عملية بشأن مشروع حضاري واقعي، ليس معنياً بهموم الواقع الإسلامي فحسب، بل بهموم الإنسان

القيم متطلبات فطرية للتعايش ومن ضرورات الحياة الحضارية لأي أمة

منظومة القيم الأخلاقية بالحضارة الإسلامية ثابتة وراسخة ولا تقبل التنازل أو التجزئة

وقضاياه وشواغله وتساؤلاته الوجودية، وتنمية وجوده وتأمينه من أخطار الانحطاط القيمي والانتحار الأخلاقي، ومن الجفاف الروحي والشقاء النفسي، معنياً بتنمية الوجود البشري على مختلف أصعدة الحياة الإنسانية، دون أن يدفع الإنسان قيَمَه الروحية ومبادئه الأخلاقية ثمناً لتقدمه الموهوم ورفاهيته الزائفة؟

ونود في هذا السياق التوسل بالقيم مدخلاً إلى إنتاج واحدة من أهم المقاربات التي تتصل اتصالاً مباشراً بحياة البشرية في واقعنا المعاصر؛ ألا وهي مقاربة القيم؛ فالقيم هي مجموعة المبادئ وقواعد الأخلاق ومعايير السلوك الاجتماعي الرشيد، وهي ميزان استقامة السلوك الحضاري الإسلامي والإنساني، وضمانة استمراره في مستوى الأداء اللائق بخير أمة أخرجت للناس.

وتتفرد القيم بكونها أهم المنتجات التي تقع في دائرة الممكنات الإسلامية على صعيد كل من المجتمع والدولة؛ فعناصر إنتاج تلك القيم تكاد تكون إسلامية حصراً؛ سواء من حيث المواد الأولية، أم الخامات المتوفرة أم السلع الوسيطة، فضلاً عن توفُّر العنصر البشري القادر على إنتاج هذه السلعة.

وفي المقابل، نجد أنَّ السوق الإنسانية تعاني من ندرة نسبية، إنْ لم تكن مطلقة في هذه الصنعة أو السلعة، ولسنا بحاجة في هذا السياق المقتضب إلى تعديد معاناة البشرية والإنسان المعاصر نتيجة نقص هذه الصنف من السوق في بقاع متسعة من هذا العالم المترامي الأطراف؛ ما يُنذر بمزيد من الكوارث البشرية والجوائح المعنوية التي تصيب الإنسان في مقتل نتيجة ندرة القيم في السوق الإنسانية!

إنَّ قيم الحق، والعدل، والمساواة، والإنصاف، والصدق، والإخلاص، والأمانة، والإيمان والعمل، والتقوى، والإتقان، والإحسان، والتسامح، والتعايش المتعاون، والتعددية المتآخية، والتنوع المتكافل، والعدل والوسطية، والرحمة والتراحم، والجود والكرم والعطاء، والشفافية والعفاف.. إلخ، سنجد هذه القيم جميعاً فضلاً عن كونها متطلبات فطرية للتعايش الكريم، فإنَّها من ضرورات الحياة الحضارية المدنية لأي أمة من الأمم، لكنَّ شهادة التاريخ تؤكد أن هذه القيم أصدق ما تجلَّتْ في مجتمعات الحضارة الإسلامية عبر العصور.

الثبات والرسوخ

ومنظومة القيم الأخلاقية في الحضارة الإسلامية تتسم بالثبات والرسوخ، فهي قيمٌ تتنافى مع النسبية، ولا تقبل المفاصلة أو المساومة أو التنازل أو التجزئة، فهي قيمٌ ثابتةٌ لا تتغير بتغيُّرِ المواقف والملابسات والظروف المختلفة؛ «أدِّ الأمانة لِمَنْ ائتمنك ولا تَخُنْ مَنْ خانك»[1].

وفي الفكر الإسلامي نجد أنَّ قوانين الأخلاق ونظامها، مثل قوانين الخليقة ونظام الكون وسننه ونواميسه التي لا تتغير ولا تتبدل؛ ذلك بأنها قيم مستوحاة من كتاب الله تعالى، ومن سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد دلَّتْ المعطيات التاريخية على أن القيم الأخلاقية في مسيرة الحضارة الإسلامية كانت تتسم بأنها قيم عامة مطلقة مُطَّردةٌ[2] في العبادات وفي المعاملات، في ضروب المعاشات الروحية والمادية، في السلوك الاجتماعي كما في النشاط الاقتصادي وفي ميادين العلوم والفنون والآداب، لا يتوقف تعاطيها بين

المسلمين وبعضهم بعضاً فقط، بل إنها قيم عامة يتقاسمها المسلمون وغير المسلمين المجال الحضاري الإسلامي العام.

وهكذا، كانت القيم الإسلامية هي الضمانة التي تصون إرادة الخير من الضعف أو التراجع، وهي التي تعزز من وازع البِرِّ والفضل لدى الإنسان، وتمنحه القدرة على التحكم في غرائزه، فتسمو نفسه بالخير، وتشرق روحه بنور السعادة الحقيقية في هذه الحياة، وقد ورد عن النبي، المؤسس لتلك الحضارة، قوله صلى الله عليه وسلم: «أربع إذا كُنَّ فيك فلا عليك فيما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصِدْقُ حَدِيثٍ، وحُسْنُ خَلِيقةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»[٢].

ولا يفوتنا التنويه في هذا السياق، أنَّ مركزية الأسوة النبوية الحسنة (بشرية النبي) قد أسهمت في تسهيل توريث القيم الأخلاقية المصاحبة للنشاط الحضاري الإسلامي عبر مختلف العصور، جيلاً بعد جيل، وبذلك كانت للقيم الإسلامية إسهامات عظيمة في تحقيق التحضر والتمدن اللائق بحضارة خير أمة أخرجت للناس.

ومما يجدر التنويه به في هذا السياق، أن التعاليم الإلهية التي بُعِثَ الأنبياء بها؛ إنّما تهدف إلى تأسيس مجتمعات بشرية ساعية إلى غاياتها في الحياة بوازع من إيمانها القلبي، متوافقة مع مقتضى فطرتها التي خلقها الله عليها، وبدافع من ضميرها الحي الذي لا يموت!

وفي منظومة القيم الإسلامية، نجد أن ذمة المكلّف لا تبرأ بمجرّد قيامه بواجباته، أو أدائه الحقوق المتعينة عليه، أو التكاليف المنوطة به إلا على سبيل

المقتضى الإيماني المنبعث من النية الحسنة والقربة من الله؛ لِما في ذلك من ضمانات الثبات على المبدأ واستدامة السير على المنهج، بغض النظر عن وجود قانون ملزم، أو تشريع يلوِّحُ بعقاب المقصِّر ومؤاخذة المتراخي من عدمه، بل بعيداً عن وقوع الإنسان رهينة احترام النظم والقوانين بمنطق جُبن المُكره أو التزام المضطر المجبور إجباراً يشوِّه إنسانيته، ويقلل من شأن ضميره، ويجرّده مقومات سمو إرادته، ويحرمه من انبساط مزاجه الحر واستقلالية اختياره وأريحية نفسه المطواعة المتحببة إلى كل خير وفضيلة.

إنَّ هذه المعاني وما يندرج في منوالها، وأقولها هنا بغير تعصُّب أو انحياز، لا تتوفر إلا في ظلال قيم الإسلام، الذي هو منهج الله وديانة الأنبياء وما صدق من أتباعهم، ونود التأكيد بكل ثقة بأنه لا يوجد إنسان عاقل رشيد ذو فطرة ومنطق سديد يأبى هذه المعاني أو يتلافاها فضلاً عن أن يتجاهلها أو يتجاوزها.

فما الذي يمنع، إذاً، من التفاهم الحضاري بين الشعوب والأمم والتلاقي عند هذه التقاطعات عند هذه النقاط المركزية المشتركة؟! وما الذي يعيق حركة البشر الرشيدة عن السير وفق هدايات هذه البوصلة التي لا تضل عن وجهة مصالحها، ولا تحيد عن غاياتها الدنيوية والأخروية مأمونة من الزلل والعثور أو الخلل والقصور؟!■

الهوامش:

(١) أخرجه البيهقيُّ في السنن الصغرى، عن أبي هريرة (٢٣٢٣).

(٢) أي: ثابتة ودائمة المترتبة على وتيرة رتيبة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتخلف؛ (جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د٢، د. ت، جـ٤، ص٤٠، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م): الكليات.. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٢١، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، جـ١، ص١٢١ و٧٠٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان، عن عبدالله بن عمرو (٤٤٦٣).

التجليات السياسية للقيم المركزية، وفي مقدمتها: الحرية، والعدل، والمساواة، والشورى، والرحمة، والشفافية، تعد مرتكزات تأسيسية لأي إصلاح سياسي منشود في الدول العربية والإسلامية، وضرورة حضارية لاستعادة الأمة الإسلامية لريادتها، وفق معنيين تحدثوا لـ«المجتمع».

التجليات السياسية للقيم.. مرتكزات تأسيسية وضرورة حضارية أممية

حسن القباني

«القيم الإسلامية السياسية الكبرى ولدت أجنَّة لكنها لم تكتب لها الحياة»، بهذه المقولة للفيلسوف الكبير محمد إقبال، يستشهد المفكر المصري والأكاديمي ياسر الغرباوي، العضو السابق بلجنة العدالة الوطنية بمجلس الوزراء المصري عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، في رؤيته لما آلت إليه أوضاع القيم الحضارية الإسلامية في الواقع السياسي المعاصر.

ويوضح الغرباوي، الذي يشغل منصب مدير مركز التنوع لفض النزاعات وبناء السلام والمصالحات المجتمعية، لـ«المجتمع»، أن الفيلسوف محمد إقبال كان يعني أن هذه القيم، وفي مقدمتها الشورى، تعرضت لضربات قوية، بعد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وبعد صدر الخلافة الأول؛ ما أدى إلى تغييبها تماماً، وانتشار الاستبداد والقهر وتجريم التغيير، والتأثير السلبي على التراث ونمط التدين.

ويلفت الانتباه إلى أن الحضارة الإسلامية ارتبطت بالعدل كقيمة مركزية تأسيسية ثم قيمة الرحمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأوائل تجسيداً لهذه القيم، التي تراجعت، وبقيت على المنابر دون مواقع التنفيذ والسلطة ومواطن الحياة.

ويؤكد الغرباوي أن قيماً كالشورى والعدل والرحمة والمساواة والحرية تحتاجها الدول العربية والإسلامية الآن، لتساعدها على إعادة الدورة الحضارية للأمة الإسلامية من جديد، إذ إن كل حضارة تنشأ على مجموعة من القيم المركزية، ونجاحها يتوقف على تفعيل هذه القيم، عبر توطين يقوم على روافع مجتمعية من مدرسين وعلماء ودعاة وسياسيين يتبنون هذه القيم، ويحرصون عليها ويجعلونها سلوكاً حياتياً، ويقدمون فيها نموذجاً في مجتمعاتهم الصغيرة، تبدأ على إثرها هذه النماذج القيمية في الانتقال إلى فضاء السياسة والثقافة والتأثير.

أركان حقوق الإنسان

من جانبه، يرى الحقوقي خلف بيومي، مدير مركز الشهاب لحقوق الإنسان، في حديثه لـ«المجتمع»، أن هذه القيم الإسلامية الحضارية المرتبطة بالإصلاح السياسي أركان أساسية في مشروعات حقوق الإنسان العالمية، وأداة لازمة لتقوية أي نظام أو دولة، وبالتالي إصلاح أوضاع المواطنين والأوطان، موضحاً أن الغرب استخدم خلاصة هذه القيم في منظومته الحاكمة ومشروعاته الحقوقية، ونال عبرها النجاح، فيما يعاني المسلمون والعرب من التخلف عن ركب التقدم السياسي والإصلاح العام بسبب عدم تقديرهم لهذه المنظومة القيمية.

ويضيف بيومي أن تجربة «الربيع العربي» وما أفرزته من توابع سياسية، أكدت أن حضور هذه القيم الحضارية في السلطة، دون انحياز لها من مؤسسات الدولة، يعرقلها، حتى لو شهدت القوى التي تتبناها دعماً شعبياً قوياً، وهو ما يحتاج إلى توطين هذه القيم في مؤسسات التنشئة والرعاية حتى تستقيم سلوكاً في نفوس الأجيال القادمة، بما يمكن لجعلها منهج إدارة وحياة في مؤسسات الحكم والقرار بعيداً عن صاحب السبق الانتخابي.

ويوضح السياسي المصري ياسر صديق حسين، في حديثه لـ«المجتمع»، أن أي إطار سياسي دون قيم مركزية تحكمه يصبح معرضاً لأهواء فئة قليلة تمتلك القوة والسلطة؛ ما يهدد المجتمع برمته، ويساعد على نشر النفاق والفساد والإفساد، ولكن في حضور القيم الإسلامية الحضارية يصبح الفعل السياسي في حال اعتماده الإصلاح مشروعاً مثمراً، تحكمه قواعد ومحفزات وأطر حاكمة، تدفع إلى النهوض وتدفع عن الأوطان مسارات التأخر والتخلف.

ويشير حسين إلى أن التحرر من القيم في السياسة، كما دعا ميكافيللي في كتابه «الأمير»، تحت شعار «الغاية تبرر الوسيلة»، هو أخطر ما يهدد أي مشروع للإصلاح السياسي، في أي وطن، إذ إنه لا بد من وجود إطار أخلاقي قيمي للسياسة ومرجعية تحكمها، رافضاً ما يقال في بعض الأوساط المصرية من أن «السياسة نجاسة»، باعتبارها مقولة مدسوسة لا تتناسب مع المرجعية الإسلامية، وكون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة، وقدم صورة للسياسي الحق كما يجب أن يكون، مجسداً للقيم الكبرى الحاكمة مثل الشورى والعدل والرحمة والمساواة والحرية.■

د. الغرباوي: إعادة الدورة الحضارية للأمة يتطلب إصلاحاً سياسياً قائماً على القيم

بيومي: الغرب استفاد من قيمنا الإسلامية الحضارية فتقدم عكس العرب والمسلمين

حسين: السياسة ليست نجاسة.. وبحاجة إلى القيم حتى لا تتحول إلى أداة فساد وإفساد

التجليات العلمية للقيم

القيم في المنظور الإسلامي تمثل أساساً مهماً لبناء الفرد والمجتمع وتشكيل الاختيارات والتوجهات

أ.د. حلمي القاعود
أستاذ الأدب والنقد

شاع في الفترة الأخيرة استخدام مصطلح القيم الصلبة في مواجهة القيم السائلة، حيث ترتبط القيم عادة بالأخلاق والسلوك في المجتمع، والحكم على الفرد والجماعة من خلالهما، وقد تغيرت طبيعة المجتمعات العربية الخُلقية والسُّلوكية في العقود الأخيرة لأسباب شتى، فتراجعت حضارياً وقيمياً إلى الوراء في معظم المجالات الحياتية والإنسانية، بدلاً من التقدم إلى الأمام.

لقد تراجعت قيم العمل والحق والصدق والعدل والإنصاف والمروءة والشهامة وغيرها، لتسود قيم البطالة والباطل والكذب والظلم والإجحاف والنذالة والخسة والغش وما يشبهها، وهو ما جعل كثيراً من العلماء الغيورين يعالجون قضية القيم، ويبحثونها من مختلف الجوانب، وخاصة في الجانب التربوي العلمي أو المعرفي.

وهناك عدد كبير من الدراسات والبحوث القيمة التي تناولت الموضوع وخاصة في الجانب التربوي، ونشير إلى بعضها فيما يلي:

- عبداللطيف خليفة، ارتقاء القيم، المجلس الوطني للثقافة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.
- سيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، مدخل القيم، سلسلة مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة ١٩٩٦م.
- ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، عمّان، ٢٠٠٦م.
- محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ.
- فتحي حسن ملكاوي، منظومة القيم المقاصدية وتجلِّياتها التربوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمّان، ٢٠٢٠م.

أساس مهم

وتمثل القيم في المنظور الإسلامي أساساً مهماً لبناء الفرد والمجتمع وتشكيل الاختيارات والتوجهات، وبعد ذلك الحكم بالنجاح والإخفاق في تطبيق القيم وممارساتها.

وقد وصف القرآن الكريم الدين الحنيف بالدين القيّم؛ أي المستقيم الذي لا عوج فيه، وتردد هذا الوصف في ٦ آيات وردت بلفظه في سور مختلفة (التوبة: ٣٦، يوسف: ٤٠، الروم: ٣٠، الروم: ٤٣، الكهف: ٢)، كما ورد بلفظة «قِيَماً»، و«قيّمة» في سورتين أخريين (الأنعام: ١٦١، البينة: ٣، ٥)، مما يدل على أهمية الاستقامة والاعتدال في حياة المسلمين؛ ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (الروم: ٣٠).

وكما نرى يدور المعنى اللغوي للقيمة والقيم والطريق القويم حول الاستقامة والاعتدال والتوازن والثبات والدوام والاعتدال وما يرادفها، وهو ما تتفق عليه معاجم اللغة بصورة شبه تامة (ابن منظور، ١٢/٤٩٨، القاموس المحيط، ١١٥٢، المصباح المنير ٧١٤).

ولا يبعد المفهوم الاصطلاحي عن المفهوم

اللغوي كثيراً، فهو يدور حول المعايير التي تتصل بالمستويات الخلقية التي يمتصها الفرد من البيئة الاجتماعية، ويأخذ منها موازين لإبراز أفعاله، أو المعايير والأحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، وتساعده على اختيار الأهداف والتوجهات وتوظيف القدرات والإمكانات، أو المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة التي يختارها الإنسان بحرية وتشكل منظومة من المعايير يتم بها الحكم على الأشياء ويصدر عنها سلوك منتظم (خميس حامد عبدالحميد وزة، فاعلية برنامج تدريبي للمعلمين في تعليم القيم وأثره في إكسابها لطلابهم، بحث منشور في مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد (١٧٦/ ١)، ديسمبر ٢٠١٧م).

وإذا كانت للقيمة أبعاد ثلاثة: معرفي

وتطبيقي ووجداني، فإن البعد الأول (المعرفي) هو الذي يعنينا في هذا السياق، حيث يرتبط بمجال التعليم الحيوي لاكتساب القيم الإيجابية التي تساعد على إصلاح المجتمع من خلال بناء الفرد واستقامته وتشرّبه لغايات المجتمع وطموحاته.

إذا أخفق التعليم في إشاعة القيم القويمة فاعلم أن المجتمع في طريقه إلى الانهيار، وإذا نجح فإنه يصعد إلى مراتب التقدم والحضارة، وهنا تظهر أهمية التمييز بين القيم القويمة والأخرى غير القويمة.

المرجعية الإسلامية

القويمة بمفهومنا هي القيم ذات المرجعية الإسلامية ومصدرها الكتاب والسُّنة، وهي قيم ثابتة تضيء طريق الإنسانية إلى الخير والرشد، وتحقق تماسك المجتمع وازدهاره وقوته، ومجالها الأرحب في المجال المعرفي: التعليم والثقافة والوعي والإبداع والفنون، وتنعكس تطبيقاتها على المجتمع وعلو شأنه في علوم الحياة، وهو ما تنبه إليه قادة الفكر والرأي في العالم الإسلامي من أمثال محمد إقبال، ومالك بن نبي، والشيخ محمد الغزالي (١٩١٧ - ١٩٩٦م) الذي يرى أن قصر باع المسلمين في علوم الحياة هو أبشع جريمة يمكن أن ترتكب ضد الإسلام.

وهذا القصور إن أمسوا به في هذه الدنيا متخلفين؛ فهم عند الله ورسوله أشد تخلفاً، وأسوأ عقبى!

هذا الرأي للغزالي يواجه قيماً أخرى يمكن أن نسميها قيماً استعمالية أو تجارية أو انتهازية، تأسست عليها حياة الآخرين من أنصار الغزو والاستبداد والنهب وقهر الآخرين، إنها قيم الغرب الاستعماري التي توظّف قيم المعرفة والعلم والاختراع للعدوان على الآخرين وإضعافهم وسرقة ثرواتهم وممتلكاتهم وإرغامهم على التبعية، أو محو وجودهم إن أمكن، ولا يدخرون وسيلة في تحقيق ذلك بقيم غير قويمة من خلال الحروب والفتن الداخلية والإغراء بنوع من التعليم يتماهى مع التصورات المعادية للأمة الضعيفة وثقافتها ومعتقداتها.

القيم ذات المرجعية الإسلامية مصدرها الكتاب والسُّنة وهي ثابتة تضيء طريق الإنسانية إلى الخير

قيم الغرب الاستعماري توظّف المعرفة والعلم والاختراع للعدوان على الآخرين وإضعافهم وسرقة ثرواتهم

بل لا يتورعون عن استخدام التجارة ولغة السوق للترويج لقيمهم وأخلاقهم ورؤاهم التي تخضع المواطن المسلم أو المواطن الضحية لما يريدون من إشاعة قيم الاستهلاك والخداع و"الفهلوة" والشطارة والغش والمظهرية والاستسهال وعدم الجدية وغير ذلك من قيم لا تبني بقدر ما تهدم، ولا تنتج بقدر ما تُضيّع.

لقد اهتم الإسلام بقيم العلم والتعلم والمجال المعرفي بعامة، والآيات القرآنية الكريمة قرنت بين العلم والعبادة، بل جعلت العلماء أول السابقين إلى معرفة الله وخشيته؛ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: ٢٨)، ولذا اهتم علماء الإسلام منذ وقت مبكر بقيم العلم والتعلم أو المجال المعرفي، ولعل أبرز من أسهم بجهد كبير في هذا الإمام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م)، في كتابه الشهير «إحياء علوم الدين»، وخاصة الفصل الخامس، ولا ينصرفن الذهن إلى قصده بالعلم ما يتعلق بالشريعة وحدها، بل إنه قصد كل ما يخدم الإنسان في المجال المعرفي، ثم إنه وضع رسائل في آداب العلم والمتعلم، واحترام العلماء، وكان بشخصه نموذجاً للعالم المسلم الذي يبحث عن المعرفة أني كانت بجهد كبير وجدية راسخة.

تحوّلات الأمم

عندما تنتقل القيم الإسلامية في المجال المعرفي من الحالة الصلبة المتماسكة إلى الحالة السائلة الرخوة، فإن المجتمع يهتز ويضطرب ويتراجع، ولا تبقى للأمة فرصة لتجاوز المصاعب والمتاعب، وقد عَبَرَتْ أمم وكيانات سياسية من حالة الضعف والنسيان إلى عالم القوة والتقدم المادي حين اعتمدت على قيم صلبة فيها من الجدية والجهد ما يجعلها منتجة وأكثر تأثيراً في المجال المعرفي، على سبيل المثال نذكر اليابان وألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، والكيان اليهودي الغاصب في فلسطين، ثم الصين وكوريا الجنوبية وماليزيا والهند وتركيا وجنوب أفريقيا والبرازيل.

في بلادنا العربية أو معظمها يأخذ المجال المعرفي حالة من الشكليات غير الجادة، هناك مسؤولون يهتمون مثلاً بمنع النقاب في المدارس والجامعات، بينما الفصول والمدرجات خاوية على عروشها بسبب انصراف الطلاب إلى السناتر أو بيوت الدروس الخصوصية، وفي الوقت ذاته لا يلتفت هؤلاء المسؤولون إلى المدارس والجامعات الأجنبية التي تنهض على أرض إسلامية، وتدرس في المراحل الأساسية والجامعية ما يسمى بالمثلية الجنسية، أي اللواط والسحاق!

يعزز من شكليات التعليم في بلادنا العربية والإسلامية انتشار ظاهرة الغش، كنا في زمن مضى نشعر بالعار حين يضبط أحدهم وهو يغش بطريقة تقليدية أي قصاصات الورق المدون عليها نصوص المقرر بخط صغير دقيق، اليوم لا يخجل الطلاب من الغش، بل إنهم يدخلون إلى الفصول والقاعات ويدوّنون المقررات على المقاعد والمكاتب والحوائط وكل مكان يمكن أن تدون عليه مادة الامتحان حتى بعض أعضاء الجسم، ناهيك عما يحدث في المناطق النائية حيث يتم تسريب ورقة الأسئلة إلى من يتولى إجابتها ومن خلال مكبرات الصوت تقرأ الإجابة من فوق سيارة لا تجدي معها السيطرة الشرطية!

هل تنهض أمة وأبناؤها المتعلمون غشاشون؟ هل نثق في الطبيب الغشاش وهو يجري جراحة لمريض؟ أو نثق في مهندس غشاش وهو يبني عمارة يمكن أن تقع على رؤوس ساكنيها؟ أو نثق في صيدلي غشاش يقدم دواء غير المطلوب؟ أو نثق في كاتب غشاش لا يدون الحقائق، ويستحل الأكاذيب، ويروج للأباطيل؟!■

التجليات الاقتصادية للقيم

حينما يُذكر الاقتصاد وتُذكر القيم، فإن الذاكرة تعود بالوراء إلى الحرب الضروس على القيم التي انتهجهـــا النظام الاقتصـــادي الرأسمالي من خلال الاهتمام بالحاجات المادية وإهمال الحاجات المعنوية، وتقديـــس العقل وترك الوحي، والنظـــر لله عز وجل كأنه صانع ساعة خلقها ثم تركها بعد ذلك تسير دونما تدخلات لاحقة حسب قوانينها الخاصة، معتقداً أن لله الخلـــق وله الأمر، وفي المقابل فإن النظـــام الاقتصادي الاشتراكي نظر للكون على أنه لا إله له والحيـــاة مادة، ونظر للدين على أنه أفيون الشعـــوب، معتقداً أن له الخلق والأمـــر معاً.

د. أشـــرف دوابـــه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

جاءت حركة التنوير بالغرب في القرنين السابع عشر والثامن عشر برؤية علمانية مادية منكرة للوحي في تسيير الشؤون البشرية، وفي المقابل نسبت كل شيء للعقل وقوة المنطق وقدرته على تمييز الخطأ من الصواب، وعلى تنظيم مظاهر الحياة البشرية بصورة تضمن تحقيق الرفاه للبشر، وهذا الأمر يجرد القيم الأخلاقية من كل قدسية يسبغها عليها الدين، مما يجعلها أمراً نسبياً يرجع في تقديره للأشخاص، وهو ما مهَّد لظهور فلسفات غير قيمية في علم الاقتصاد وغيره من العلوم الاجتماعية ممثلة في الفلسفة الداروينية الاجتماعية والمادية والحتمية والوجودية.

فقد أحلت الفلسفة الداروينية الاجتماعية مبدأ البقاء للأقوى محل الأخوة بين البشر، وحملت الفقراء المسؤولية الكاملة عن فقرهم وبؤسهم، أما الفلسفة المادية فقد جعلت هَمَّ الشخص هو زيادة ثرواته وإشباع ملذاته وشهواته الجسدية؛ وهو ما أسس لثقافة الاستهلاك وما ترتب على ذلك من مضاعفة الحاجات البشرية بصورة تفوق قدرة الموارد المتاحة حالياً على سدها.

وأما الفلسفة الحتمية، فقد أنكرت مسؤولية الأفراد الأخلاقية والمعنوية عن تصرفاتهم، معتبرة أن البشر عاجزون عن السيطرة على تصرفاتهم وتعدها محكومة باستجاباتهم الآلية الأتوماتيكية للمحفزات الخارجية كما عند الحيوان وفقاً لرأي واتسون وسكينر، وبالحالات العقلية اللاواعية التي لا سلطان لوعي الفرد عليها وفقاً لرأي فرويد، وبعوامل الصراع الاجتماعي والاقتصادي وفقاً لرأي ماركس.

وأما الفلسفة الوجودية، فقد تبنت الحرية المطلقة للبشر، ورفضت أي مبرر لوجود قيم متعارف عليها أو لفرض قيود على حرية الأفراد الشخصية، ففتحت بذلك الباب على مصراعيه لإرضاء الملذات الحسية وسياسة عدم التدخل، وكان من نتيجة إهمال القيم أن انتكس المجتمع الغربي أخلاقياً ومعنوياً وإن تقدم مادياً، فتفككت الأسرة وانتشر الشذوذ والعلاقات الجنسية المحرمة والانتحار، وبات الاستقرار النفسي للأفراد نسياً منسياً.

الاقتصاد الإسلامي

وحينما برز في النصف الثاني من القرن العشرين مصطلح الاقتصاد الإسلامي؛ أعاد للقيم الاقتصادية مكانتها ووازن بين المصلحة الذاتية والمصلحة المجتمعية، والحاجات المادية والحاجات المعنوية وفقاً لمهمة الاستخلاف العقدية، وربط الإيمان بالله والعمل الصالح -في الاقتصاد وغيره- باليوم الآخر، وكشف لكل عاقل أنه لا تضاد بين العقل والوحي، فالله عز وجل هو الذي خلق العقل وهو الذي أنزل إليه الوحي لإرشاده.

وقد كان ذلك سبيلاً إلى أهل العدل من علماء الاقتصاد في الغرب للمطالبة بإقرار النظرية الاقتصادية المعيارية القيمية التي تختص بما ينبغي أن يكون جنباً إلى جنب مع النظرية الاقتصادية الوضعية التي تختص بما هو كائن فعلاً، والتحذير من سيطرة قيم الرغبات على القيم الحقيقية.

وها هو الكاتب الفرنسي جاك أوستروي يقول في كتابه «الإسلام والتنمية الاقتصادية»: «الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معاً، وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبداً، ومن هنا يمكن القول: إن المسلمين لا يقبلون اقتصاداً علمانياً، والاقتصاد الذي يستمد قوته من وحي القرآن يصبح بالضرورة اقتصاداً أخلاقياً، وهذه الأخلاق تقدر أن تعطي معنى جديداً لمفهوم القيمة وتملأ الفراغ الفكري الذي يوشك أن يظهـــر من نتيجـــة

آلية التصنيع».

إنه من خلال نظرة تحليلية عادلة إلى آليات النشاط الاقتصادي من إنتاج واستهلاك وتوزيع، والتسليم بأن لله تعالى له الخلق والأمر، تتجلى القيم الحاكمة لتلك الآليات، فالإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي ينطلق من مفهوم عقدي هو الاستخلاف؛ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، وغايته تحقيق العبادة لله رب العالمين؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، ولا عبادة بدون عمران؛ ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، ولا عمران بدون إنتاج يحقق الكفاية للعباد والبلاد، ويجمع بين حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، بحوافز فطرية متوازنة كحب الملكية ودافع الربحية دون طغيان كما في النظام الرأسمالي أو إخسار كما في النظام الاشتراكي.

كما أن عناصر الإنتاج في النظام الاقتصادي الإسلامي تتكون من العمل الذي يمثل الجهد المبذول من الإنسان بيده وعقله، والمال الذي يتكون من هذا الجهد من الأرض، حيث إن اختلاط العمل بالسلع المشتركة ينتهي بها من سلع مباحة إلى سلع اقتصادية لها ثمن في السوق.

والعمل له حقوقه، فلا بد أن يكون مباحاً في مجال الطيبات التي أحلها الله، وأن يكون نافعاً لصاحبه ومجتمعه، وأن يكون متقناً، فالله عز وجل كتب الإحسان في كل شيء، ويحب إذا عمل عبداً عملاً أن يتقنه.

والنظام الاقتصادي الإسلامي في سبيل تحقيق ذلك حرص على أن يكون العامل قوياً فاهماً لطبيعة عمله أميناً في ممارسته؛ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥)، كما حرص على إحسان التعامل مع العاملين والوفاء بحقوقهم والبعد عن استغلالهم، وفتح الباب للتميز وتحقيق الكفايات والتخصص وتقسيم العمل وفقاً للقدرات والمواهب ليتبادل الناس المنافع، فكل مسخَّر للآخر وفق مهنته لاحتياج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا، ومن ثم فإن اختلاف المهن رحمة؛ ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيًّا﴾ (الزخرف: ٣٢).

فإذا كانت الرأسمالية رسخت للطبقية، فإن الإسلام لا يعرف لتلك الطبقية المقيتة سبيلاً، ولكنه يرسخ للدرجية التي تعني أن الكل مرفوع في شيء ومرفوع عليه في شيء آخر، مرفوع فيما يجيده من الأعمال، ومرفوع عليه فيما لا يجيده منها، فبها يستعمل الناس بعضهم بعضاً في قضاء حوائجهم؛ فيحصل بينهم تكامل وتآلف به ينتظم نظام العالم.

المـــال

كما أن النظام الاقتصادي الإسلامي ينظر للمال نظرة موضوعية كضرورة من ضرورات الحياة، فملكيته ملكية حق انتفاع به باعتباره استخلافاً، ومن ثم فإن الحلال منهجه؛ كسباً وإنفاقاً واستثماراً، ولا مكان فيه لأن يستعبد مسلماً، فهو في يده لا في قلبه، ولا مجال فيه لأكله بالباطل بالربا والغرر والمقامرة والغش والتدليس والخديعة ونحو ذلك لما في ذلك من ظلم وعدوان وهدم لأركان التآلف داخل المجتمع.

ومن خلال نظرة تحليلية عادلة إلى الاستهلاك في النظام الاقتصادي الإسلامي تتجلى القيم الحاكمة له في ضبطه كيفاً بأن يكون في حلال، وكماً بأن يكون بعيداً عن الإسراف والتبذير والترف، وليس كما سعى النظام الرأسمالي لتعظيم المنفعة المادية للمستهلك مُهملاً المنفعة الروحية، فحصر الاستهلاك في اللذة الشهوانية، وحوّله إلى ثقافة وأسلوب حياة في عالم الإعلانات الغشاشة والعولمة الهدامة بعيداً عن القيم والأخلاق، وفي المقابل حرم النظام الاشتراكي المستهلك من تحديد احتياجاته الاستهلاكية وجعله حبيساً لسلع بالية وقيم مغيبة.

كما أن التوزيع في النظام الاقتصادي الإسلامي لا يقتصر على التوزيع الوظيفي الذي من خلاله يتم توزيع الدخل على عناصر الإنتاج المساهمة فيه -وإن كان هذا التوزيع لا يعرف استحقاق رأس المال للفائدة سبيلاً باعتبارها ربا محرماً- حيث يراعي ما قدمه أصحاب عناصر الإنتاج في العملية الإنتاجية كل حسب جهده، وفي الوقت نفسه ينظم علاقة توزيعية تعبدية بين أصحاب عناصر الإنتاج والمجتمع بصورة تحقق العدالة والأخوة والرحمة وتنتفي فيها الأثرة، من خلال التوزيع الشخصي وإعادة التوزيع بوسائل متعددة كالإرث والزكاة والصدقات والوقف والخراج ونحوها بصورة تحقق التكافل الاجتماعي الأفقي بين الأقاليم، والتكافل الاجتماعي الرأسي بين الأجيال.

وبذلك يتجاوز النظام الاقتصادي الإسلامي النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي لا يسمح باستحقاق الثروة أو الدخل إلا لعناصر الإنتاج التي أسهمت فيه، وفق قوى السوق التي يحركها الاحتكار ومنطق القوة، فقسم المجتمع إلى طبقة طافية مترفة وطبقة غارقة فقيرة معدمة، وفي المقابل فإن النظام الاقتصادي الاشتراكي الذي ادعى أنه جاء لمحاربة الطبقية قسم المجتمع إلى طبقة طافية مترفة ممثلة في الفئة الحاكمة، وطبقة غارقة فقيرة معدمة وهم جموع الشعب التي تحولت اشتراكيتهم الموعودة إلى اشتراكية في الفقر.■

الاقتصاد الإسلامي وازن بين المصلحة الذاتية والمجتمعية والحاجات المادية والمعنوية وفقاً لمهمة الاستخلاف

.. وينظر للمال نظرة موضوعية كضرورة من ضرورات الحياة فملكيته ملكية حق انتفاع به باعتباره استخلافاً

النظام الرأسمالي عظَّم المنفعة المادية للمستهلك مُهملاً المنفعة الروحية فحصر الاستهلاك في اللذة الشهوانية

خصوصيـــة القيـــم في المشروع الإسلامي.. العدل نموذجاً

العدل قيمة إسلامية عليا ومقصد من مقاصد الشريعة، وهو اسم لله تعالى، ومدار الكون على العدل، فما خلقت السماوات والأرض، ولا أنزلت الكتب ولا أرسل الرسل إلا لإقامة العدل؛ (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (الحديد: ٢٥).

العدل شامل لجميع النواحي المادية والمعنوية فيتضمن المعاملات بين البشر والقيم والفضائل

د. فاطمـــة حافـــظ

للعدل معانٍ عدة، فهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو الحكم بالحق من غير ميل أو غرض، وهو الإنصاف، والاستقامة، وتقويم الشيء إذا مال أدنى ميل، والتوسط بين الإفراط والتفريط، وعلى هذه المعاني المتقاربة يدور استعمال كلمة العدل في لغة العرب، ونقيضه الظلم؛ وهو إما وضع الشيء في غير موضعه، أو إيقاع ضرر غير مستحق، وفي الحالتين هو لا يجوز في حق الله تعالى؛ لأن الله لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، كما أنه لا يعاقب أحداً بغير حق.

والعدل شامل لجميع النواحي المادية والمعنوية؛ إذ يتضمن المعاملات بين البشر، كما يتضمن القيم والفضائل المعنوية، وحول هذا المعنى الأخير يقول ابن تيمية: «كل خير فهو داخل في القسط والعدل، وكل شر فهو داخل في الظلم، ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء وعلى كل أحد، والظلم محرماً في كل شيء ولكل أحد، فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً»، ويفهم من هذا أن العدل قيمة مهيمنة وحاكمة على القيم الأخرى لاشتماله أمر الدين كله أوامره ونواهيه؛ فما نهى الله عنه راجع إلى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل.

ولا يستقيم أمر العالم في نظر الشريعة إلا بالعدل؛ العدل في الدماء والأموال والأنساب والأبضاع والأعراض، ولهذا شرع القصاص ومعاقبة المعتدي بمثل فعله عبر القضاء النزيه، «وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية، وتأمن السبل، وينتصف المظلوم، وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة، ويؤدى حق الطاعة، ويرزق الله العافية والسلامة، ويقيم الدين، ويجري السنن والشرائع في مجاريها»، كما يقول ابن خلدون.

وإذا كان العدل لا يتحقق إلا من خلال القضاء، لذلك بذل علماء الإسلام جهداً كبيراً في محاولة تحويل مفهوم العدل القرآني إلى جملة من الإجراءات الواقعية الملموسة من خلال المؤسسة القضائية التي تفصل في النزاعات بين المتخاصمين، التي أحيطت بسياج من الضمانات لضمان تطبيق العدل، وهو ما جعل منها مؤسسة فريدة لا تشبه أي مؤسسة قضائية في الأمم والحضارات الأخرى.

ضمانات العدالة

وأول ضمانة من ضمانات العدالة هي التنوع الواسع في العقوبات الإسلامية، بحيث تتناسب مع طبيعة الجرم بلا زيادة أو نقصان، وهو تنوع لا نجد له نظيراً في الأنظمة القضائية حتى يومنا هذا، إذ يحصي رودولف بيترز، في كتابه «الجريمة والعقاب في الشريعة»، ١٣ عقوبة إسلامية يرتبها من الأدنى إلى الأعلى: التوبيخ، الزجر، التشهير،

النفي أو التغريب، الحبس، الجلد، قطع اليد اليمنى، القطع من خلاف، قصاص ما دون النفس (قطع بعض أعضاء الجاني أو جرحه أو فقء عينه إذا تعمد إيذاء شخص بمثلها)، القتل وهو على ٣ أصناف (القتل قصاصاً، القتل رجماً، القتل صلباً).

وعلاوة على تلك العقوبات المحددة المنصوص عليها، هناك عقوبات تكميلية أخرى في الشريعة وعددها يسير؛ كعقوبة القاذف الذي لا تقبل شهادته، وهناك أيضاً ما يسمى «التعزير»؛ وهي عقوبة مخولة للقاضي في حال تعذر إثبات التهمة بوسائل الثبوت الشرعي المعتادة، أو في حال ارتكاب جرم لا تنطبق عليه تعريفات الجريمة الشرعية، وعندئذ يحق للقاضي اختيار عقوبة من العقوبات السالفة وتوقيعها على المذنب.

ومن ضمانات العدالة القواعد الفقهية، ومنها قاعدة «الحق لا يسقط بتقادم الزمان»؛ وبمقتضاها يحق لأرباب الحق المطالبة قضائياً باسترداد حقهم مهما تطاول الزمان متى أمكنهم ذلك وإن انقضت المدة الزمنية المخصصة لإقامة الدعوى، ومنها إجازة فسخ عقود المكره من بيع وشراء وهبة وغيره بعد زوال الإكراه الشرعي، فإن مات المكره انتقل حق الفسخ إلى ورثته، ومنها عدم قبول شهادة المستخدمين لصالح مخدوميهم في الدعاوى، وما إلى ذلك من قواعد ضبطت الممارسة القضائية وكفلت العدالة بها.

غير أن هذه القواعد وحدها ما كانت لتكفل العدالة لولا مبدأ استقلال القضاء عن باقي السلطات في الدولة، وهذا الاستقلال على شاكلتين:

١- استقلال ذاتي داخلي؛ يراد به فصل القضاء عن نوازع القاضي الذاتية التي قد يختل بها مقصد العدل، ويشمل سلامة القاضي في صفاته؛ الذاتية والخلقية والدينية، وتحرره من الخوف والحاجة، ومن هذا الاستقلال الذاتي للقاضي غير المنصوص عليه في القوانين ينبع استقلال النظام القضائي بأسره؛ لأنه نابع من ضمير القاضي ومراعاته لأحكام الشريعة ومبادئها.

٢- استقلال خارجي؛ يتعلق بمنع تدخل غير القاضي وتأثيره على القاضي، وهو يتضمن الاستقلال الوظيفي؛ ويعني قيام القاضي بواجبه القضائي دون تدخل من أي جهة أو تأثير، والاستقلال العضوي؛ ويعني إفراد القضاء بسلطة منفصلة عن باقي السلطات.

وثمة ضمانات وضعها العلماء تكفل استقلال القضاء، من قبيل وضع شروط ذاتية وخلقية فيمن يتولى القضاء، وحصر تولية القاضي في الإمام أو من ينوب عنه، وعدم نقل قضية دخلت في ولايته بلا سبب مشروع، وعدم جواز عزله إلا بطلب منه أو بمقتضى مصلحة شرعية، وعدم نقض حكم القاضي من أي جهة حتى وإن كان السلطان ذاته، إذ الأصل صحة الحكم القضائي ولا يبطل منه إلا ما خالف نصاً شرعياً أو خالف إجماعاً قطعياً أو ظنياً أو خالف القواعد العامة، وعدم جواز نظر القاضي دعوى يمثل هو أو أحد أقاربه طرفاً فيها، وحظر منح الهبات والهدايا للقضاة، وهي ضمانات تكفل في مجموعها تحقق الاستقلال بنوعيه.

وقد ناقش الفقهاء مسألة تدخل ولي الأمر في عمل القاضي واعتبروه معصية، واستدلوا على ذلك بالقاعدة الشرعية «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»، وأن السمع والطاعة لولي الأمر يكون في غير معصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، وذهبوا إلى أنه إذا أصر ولي الأمر على التدخل رغم ممانعة القاضي وجب عليه الاستقالة حفاظاً على استقلاليته؛ لأنه ليس بإمكانه التنازل عنها لأنها ليست حقاً شخصياً له، وإنما هي من حقوق الله تعالى التي لا يجوز التنازل عنها.

واستقلال القاضي لا يمنع من مراقبة أعماله وتفقد أحواله، ولولي الأمر أن يطالبه بعدم تأخير الدعاوى بغير مبرر، وأن ينظر في أقضيته وأحكامه التي يصدرها، فإذا تبين أنه أخطأ في بعضها جاز عزله عند بعض الفقهاء، وإذا قصرت الرقابة عن الوصول لهدفها من مراقبة القضاة وتقويمهم ووقع من بعضهم الخطأ أقرت الشريعة التشكي فيجوز لأحد المتداعين في الدعاوى أن يتشكى من انحياز قاضيه إلى خصمه أو بوجود عداوة سابقة معه أو غير ذلك من الأمور، ويجب عليه أن يرفع شكواه لولي الأمر الذي ينظر فيها، وأن يعاقب القاضي أو يعزله إن ثبت جوره وظلمه.

خلاصة ما سبق؛ أن العدل مقصد من مقاصد الشريعة، وأن مؤسسة القضاء استطاعت تجسيده إجرائياً من خلال تكريسها مبدأ الاستقلال عن السلطة التنفيذية وتطبيقها ضمانات تكفل تطبيق المساواة والعدالة بين المتنازعين.■

علماء الإسلام حوَّلوا مفهوم العدل القرآني إلى جملة من الإجراءات الواقعية الملموسة

أول ضمانة للعدالة التنوع الواسع في العقوبات الإسلامية بحيث تتناسب مع طبيعة الجرم

القواعد وحدها ما كانت لتكفل العدالة لولا استقلال القضاء عن باقي السلطات بالدولة

في القرنين الأخيرين، لم تحدث مواكبة من الفقه والفكر الإسلامي لحركة حقوق الإنسان، مقارنة بالتطور الكبير الذي شهدته التجربة الغربية على مستوى الأفكار والمؤسسات والتطبيق، كما أن إهدار قيمة الإنسان وحقوقه في أغلب المجتمعات الإسلامية ألقى بظلاله القاتمة على حقيقة عطاء الإسلام للإنسان كقيمة وحقوق، ولعل هذا التناقض الصارخ هو ما جعل الكثيرين يظنون أن هناك تقزماً في المنظومة المعرفية الإسلامية تجاه الإنسان.

قيمة الإنسان.. بين المنظومة الغربية والإسلامية

مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

ترتبط قيمة الإنسان في المنظومة المعرفية برؤية تلك المنظومة للذات الإنسانية، وبالحقوق المكفولة لها؛ كالحق في الحياة والحرية والمساواة والعدل والكرامة والأمن وتوفر سبل العيش.

أما تعرية الذات الإنسانية من قيمتها هو إضعاف للوجود الإنساني، وشطب للاستخلاف الإلهي للإنسان في الأرض، ولعل من أكبر ما يهدر قيمة الإنسان هو إجباره على التخلي عن أبعاده الروحية، وإحلال الأشياء المادية مكانها، فتلك المساعي تضع الإنسان في حفرة ضيقة، وتغلق رؤيته الكونية العلوية السماوية، وتقرن قيمته بالمنفعة منه، وتقصر الحضور الإنساني بين حدي اللذة والمنفعة، وكلاهما «يُشَيِّئ» الإنسان؛ أي يجعله شيئاً مادياً.

والقيمة تقترب من مفهوم الجوهر، وهي ما يُعطي الشيء أهميته ومكانته، وترتبط في المجال الإنساني غالباً بغير ما هو مادي ومحسوس، وما هو متجاوز للمادة، أما المادة فترتبط غالباً بكل ما هو مُستهلك ومؤقت وحسي ومرتكز على الإشباع واللذة والمنفعة.

ولعل هذا ما أشار إليه الطبيب النفسي فيكتور إي فرانكل، في كتابه «بحث الإنسان عن المعنى»، بتأكيده أن المادية نظرت إلى الإنسان من منظور المنفعة وليس من منظور القيمة المرتكز على الكرامة، فيقول: «مجتمع اليوم يتميز بالتوجه نحو الإنجاز، وبالتالي فهو يعشق الناجحين والسعداء، ويعشق الشباب بشكل خاص، ويتجاهل، فعلياً، قيمة كل أولئك الذين هم على خلاف ذلك، وبذلك يطمس الفرق الحاسم بين أن تكون ذا قيمة بمعنى الكرامة، وأن تكون ذا قيمة بمعنى المنفعة، إن الخلط بين كرامة الإنسان ومجرد المنفعة، ينشأ من الارتباك المفاهيمي، الذي يمكن إرجاعه بدوره إلى العدمية[1] المعاصرة».

ولعل هذه النقطة الجوهرية التي لمسها فرانكل هي التي جعلت المنظومة المعرفية الغربية تتفهم وتبرر اللجوء إلى ما أسمته «القتل الرحيم» الذي طبقته ألمانيا النازية[2]، وهو لا يختلف كثيراً في مضمونة عن القتل الرحيم الذي سمحت به بعض الدول لذوي الأمراض المزمنة للتخلص من حياتهم.

التكنولوجيا والإنسان

أما قيمة الإنسان في ظل التكنولوجيا خاصة الرقمية، فإنها شهدت تراجعاً كبيراً، فتلك التكنولوجيا باتت سؤالاً فلسفياً بعدما أعادت تشكيل الإنسان، ولكن وفق منطق آخر لا ينظر إلى الإنسان كقيمة في ذاته، بل ينظر إلى الإنسان من بُعد واحد، كما أشار الفيلسوف هربرت ماركوز، في كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد»، وفي ذلك النظر إهدار لقيمة ذلك الإنسان، الذي جارت التكنولوجيا عليه من الداخل، فصارت في مواجهة بُعده الروحي، مع تغلغلها في مناشط الإنسان وجوانب حياته، لذا بدت التكنولوجيا ككيان مستقل على الإنسان، بل كيان مسيطر على الإنسان.

ومن ثم تحولت التكنولوجيا إلى سجن للإنسان، لا يستطيع أن ينعزل عنها، أو ينفك من أسرها، فانتقل من كونه سيداً في الكون ليكون خاضعاً لمنطق الآلة ذات القلب الحديدي، فالتكنولوجيا لم تعطِ أي قيمة للإنسان، فحسب الفيلسوف مارتن هايدجر، فإن التكنولوجيا لم تعد أداة؛ بل أصبحت وسيلة لفهم العالم، وتطورت خارج نطاق سيطرة الإنسان، وبات الإنسان لا يرى العالم إلا من خلالها، وبالتالي حجبت التكنولوجيا الإنسان عن ذاته وعن العالم، وهذا الحجب إهدار لقيمة الإنسان.

فالتكنولوجيا، حسب مفكرين غربيين، لها دور في إضعاف قيمة الإنسان المعاصر، ولها مسؤوليتها عن «تَشَيُّؤ» الإنسان واغترابه في هذا العالم، فـ«تَشَيُّؤ» الإنسان يلغي كرامته التي منحها له الله تعالى، أما اغترابه فيلغي دوره الاستخلافي في الكون؛ لذا انكمش الحضور الإنساني في العالم لصالح الآلة، وتراجع استقلال الإنسان الذاتي مع اعتماده الواسع على الآلة، وانعكست تلك التحولات على تغير مكانة الإنسان وعلاقته مع الكون والطبيعة، فإنسان الماضي ولى ولا رجعة له، وهذا لا يعني إلا تراجع تلك القيمة الفريدة التي كان يتمتع بها الإنسان باعتباره ذاتاً مستقلة، وباعتباره سيداً في هذا الكون.

وهذا ما تحدث عنه د. عبدالوهاب المسيري في أن التفكير المادي يرى أسبقية الطبيعة على الإنسان، وهو ما يفرض خضوع الإنسان لقوانين الطبيعة وحتمياتها، لكن الرؤية الإيمانية الدينية ترى أنه إذا كان للطبيعة الأسبقية في الخلق، فإن للإنسان الأفضلية بالتكريم الإلهي، ولذلك فالفلسفة المادية مُعادية للإنسان، عندما ساوت بين الإنسان والطبيعة، فحولته إلى شيء، واختزلته في الجانب المادي.

التكريم السماوي

وتذهب الرؤية الإسلامية إلى أن الإنسان

تعرية الذات الإنسانية من قيمتها إضعاف للوجود الإنساني وشطب للاستخلاف الإلهي له

التكنولوجيا لها دور كبير في إضعاف قيمة الإنسان المعاصر واغترابه في هذا العالم

الإنسان في الرؤية الإسلامية سيد في الكون وتشرَّف بأن نفخ فيه الخالق من روحه

سيد في الكون، وأنه تشرف بأن نفخ فيه الخالق سبحانه تعالى من روحه، فهو كائن مكرم في ذاته، وجاءت الكثير من الآيات والأحاديث النبوية لتؤكد تلك الحقيقة، جاء في تفسير «الظلال» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠): وقد كرم الله هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه؛ كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة، التي تجمع بين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان.

وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، التي استأهل بها الخلافة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة.

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض، وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك، وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة، ويعلن فيه الخالق، جل شأنه، تكريم هذا الإنسان! وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض؛ القرآن».

وفي التطبيق النبوي لقيمة الفرد، أنه صلى الله عليه وسلم وقف حينما مرت به جنازة يهودي، وعندما تعجب أصحابه من ذلك قال لهم: «أليست نفساً؟»[٣].

أما ابن خلدون فيقول في تاريخه، عن تلك القيمة التي يحظى بها الإنسان: «والإنسان رئيس بطبعه، بمقتضى الاستخلاف الذي خُلق له».

وفي كتابه «من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر»، ينتقد الفيلسوف طه عبدالرحمن تجزئة مدارك الإنسان، فهذه التجزئة ما هي إلا إضعاف لقيمة الإنسان، لأنها تلغي إحياء الروح الإنسانية التي هي مستودع الأسرار والوجود، وحسب عبدالرحمن، فخفض قيمة الإنسان بتحويله إلى ما يشبه الآلة والسلعة والمعلومة؛ لأن الأصل في الآلة التجريد والتجزئة، أما السلعة فمبناها على الثمن والربح، والمعلومة مبناها على الرقم والافتراض، وهذا يُخفض قيمة الوجود الإنساني ويضيقه.

أما الإسلام فشأن آخر بالنسبة لقيمة الإنسان، فكما يقول عبدالرحمن: «وتجديد الإنسان إنما يكون بإخراجه من وضع الآلة إلى وضع الآية، ومن وضع السلعة إلى وضع الهبة، ومن وضع المعلومة إلى وضع النفحة؛ أي الفطرة»، وبذلك تتكامل عناصر الوجود ومعانيها في الإنسان، ويحظى بالتكريم والقيمة.■

الهوامش

(١) العدمية: فلسفة ترى أن الوجود، وتحديداً الوجود البشري، سواء في الماضي أو الحاضر، ليس له معنى، أو غاية، أو حقيقة مفهومة، أو قيمة حقيقية.

(٢) القتل الرحيم في ألمانيا النازية هو قتل المعاقين وأصحاب الأمراض المزمنة والمرضى العقليين، وهي سياسة لجأت إليها النازية ضد المعاقين بزعم أنهم عديمو الفائدة، وهو برنامج شارك فيه أطباء، وتم قتل أكثر من ٢٠٠ ألف معاق في الفترة من العام ١٩٤١ حتى ١٩٤٥م، وكان الشعار المرفوع «هؤلاء لا يستحقون الحياة».

(٤) صحيح البخاري.

الإسلام مكَّن لأخلاق الدولة فكان القادة يقدمون القيم على كل المغانم

ضرورة القيم الأخلاقية للمشروع الإسلامي

الحضارة التالدة تتحول إلى صحراء بائدة بتخلي أصحابها عن القيم وانتهاج الفساد

د. محمد أحمد عزب

تقف الشعوب المسلمة اليوم على مسلَّمة تجمع عليها، هي أن دورة الزمن توشك أن تتغير، وإنهم يثقون يقيناً من عودتهم لقيادة الأمم، وقد صاروا اليوم في ذيلها.

وقيادة الأمم بالحق رسم لها القرآن منهجاً، ووضع لها سبلاً لا بد من أخذها، فإن اجتماع الناس على الرسالة كان له أسباب بينتها آيات الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فالذي جمع الناس حول الدعوة لم يكن الحق الذي تضمنته فقط، بل أخلاق القائم بها صلى الله عليه وسلم، فقد كان هو أساس اجتماع الناس وقبولهم لرسالته.

والقرآن تبدأ آياته البينات بأن الله هو الرحمن الرحيم، وقيمة الرحمة هو ما تواصى به المسلمون عبر التاريخ، فتوارثوا في لقيا التلميذ بشيخه أول مرة، أن يكون أول ما يسمعه منه: «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[١]، وهو الحديث المسلسل بالأولية، فالتراحم قبل التعليم والتلقي.

المؤاخاة أول الطريق:

كان من أول ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم حين هاجر، المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمؤاخاة تحمل في طياتها كل معاني الأخلاق والقيم، كالرحمة والإيثار والشفقة، ولما أتى إليه عبدالله بن سلام، وكان حبراً يهودياً ليستبين الأمر، قال: لما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[٢]، وبتلك الأخلاق بدأ مجتمع المدينة.

القيم العليا وأخلاق الدولة:

في مجلس ضم الصحابي الجليل عمرو بن العاص قال المستورد القرشي: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»، فقال عمرو له: أبصر ما تقول، فقال له: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو: إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين، ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[٣].

فذكر عمرو الحلم والأناة، والعطف على المسكين والضعيف واليتيم، والعدل، وهي قيم عظمى، ضمنت لأهلها بقاء استثنائياً.

أي نظام يبغي الاستخلاف لا بد أن يضع الأخلاق وبناء النفوس ضرورة أولية

لقد مكن الإسلام لأخلاق الدولة، فكان القادة يقدمون القيم على كل المغانم، فالمغانم لا تساوي شيئاً أمام خسارة الأخلاق، لقد رد أبو عبيدة على أهل حمص النصارى ما أخذه منهم مقابل الصلح والحماية، لما لم يف لهم بما عاهدهم عليه[٤].

وهكذا كانت أخلاق الدولة المنبثقة من قيم الإسلام، هي التي تحكم تصرفات القادة، فالوفاء للمخالف كان أساساً مكيناً، لا يجوز الالتفاف عليه.

ولم تتخل الدولة عن قيمة العدل، حتى ولو كان ثمن إقامته ردة يرتدها من وجب عليه قصاص نافذ، فقد لطم جبلة بن الأيهم في الحرم رجلاً فهشم أنفه، فطلب الرجل القصاص منه، فألزمه الفاروق عمر رضي الله عنه بذلك، فأنف جبلة أنفة شديدة، حيث كان ملكاً في قومه، فكيف يقتص منه لرجل من العامة؟! ولما لم يجد فكاكاً من القصاص، خرج من الحرم ليلاً مرتداً عن الإسلام.

وكان بوسع عمر أن يتجاوز عن الرجل ويستبقيه في الإسلام رعاية لمكانته، لكن خسارة رجل لا خسارة قيمة عليا حث عليها الإسلام.

التوحيد أساس الأخلاق:

تعود الأخلاق إلى كلمة التوحيد، وقد اعتدلت بالتوحيد أخلاق عرب الجاهلية، وجاء فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٥]، فاستخرج بالتوحيد من نفوسهم كريم الخلال، فصاروا جيلاً فريداً، في ممارساته، وفي فتوحاته وضربه في الأرض.

وقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم الأشعريين بقوله: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»[٦]، لقد امتدحهم النبي صلى الله عليه وسلم بما تراحموا فيما بينهم، وبما آثر من يملك من لا يملك، وتلك خلة كانوا عليها وافقت ما صاروا إليه من التوحيد والإسلام.

حديث القرآن عمن نبذ القيم والأخلاق:

إن القرآن الكريم ذكر بعض ما حدث لأرباب الحضارات الفاسدة، التي دارت عليها عاديات الأيام، ونالت منها السنن الإلهية، كقوم عاد، وثمود، وفرعون، وكلهم من أصحاب العمران المدهش والحضارة العامرة، لكنها خلت من القيم، فكانت النتيجة: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (الفجر: ١٣)، وهكذا تتحول الحضارة التالدة إلى صحراء بائدة، بتخلي أصحابها عن القيم وانتهاج الفساد.

ومن نظر فيما خلَّفه الفراعين لأدهشته حضارتهم، التي بادت، وصارت عبرة في التاريخ على من علا بغير الحق، وأظهر الفساد في الأرض.

ضرورة لا بد منها:

إن أي نظام يبغي عمارة الأرض وتحقيق الاستخلاف والشهود الحضاري، لا بد أن يضع الأخلاق وبناء النفوس ضرورة أولية، ولقد وصف الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأميز ما كان فيهم من الأخلاق التي مكنت لدعوتهم في الأرض، حيث كانوا رحماء فيما بينهم، بل سبق التراحم الحديث عن عبادتهم، مع ضرورة الأمرين معاً، ومما منَّ الله على عباده ما ذكره من قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (آل عمران: ١٦٤)، فتزكيتهم سبقت تعليمهم الكتاب والحكمة.

وهكذا ترتسم خطا دعاة الإصلاح، وإحياء النفوس، أن التزكية ليست نافلة في الدعوة، بل ركيزة من ركائزها وعنصر من عناصرها المكينة.

مهما كانت العداوة فلا بد من العدل ومهما كان سمو الحجة فلا بد من الرحمة

إن الدعوات الكبرى التي تؤسس لما ينفع الناس لا تنجح إلا بالتمكين للقيم، ومهما كان سمو الأفكار، ووضوح الحجة، فتبقى الأخلاق الأساس في التمكين للدعوة، وكل دعوة تجافي الأخلاق فهي من الزبد الذي يذهب جفاء.

لقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة إلى خيبر ليقسم الثمر بينه وبين اليهود، فجمعوا له حلياً من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك، وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقال لهم: يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سُحت، وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض[٧].

فمهما كان أمر العداوة فلا بد من العدل، ومهما كان سمو الحجة، فلا بد من الرحمة، ومهما كان وضوح الحق، فلا بد من اللين في عرضه.

هكذا تكون الدعوات بالقيم العليا كالمطر الذي ينزل على الأرض، فتنبت من كل زوج بهيج، بعدما كانت هامدة.■

الهوامش:

(١) صحيح، أخرجه الترمذي.

(٢) صحيح، أخرجه ابن ماجه.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) الاكتفاء (٢/ ٢٥٣).

(٥) الموطأ.

(٦) متفق عليه.

(٧) أخرجه في الموطأ.

قيـم الحضـارة الإسلاميـة وقـت النـوازل.. بين الماضي والحاضر

تشكل القيم ركيزة التقدم الحضاري الذي يستند إلى مقومات مادية وسياسية ومعنوية، والقيم والأخلاق والفضائل من المقومات المعنوية التي لا تنفك منها أيّ حضارة، وتمثل القيم الإنسانية القواعد والأخلاق الموجهة للإنسان التي تقوم على احترام كرامته وحريته وحقوقه وصيانة عرضه وماله وعقله، وتتسم بالتسامح والعدالة والمساواة دون تمييز على أساس اللون أو الدين أو القوميات.

الحضارة الإسلامية اتسمت بنظام أخلاقي إنساني وقت النوازل كالتحلي بالصبر والثبات والنجدة والإغاثة

د. أشـرف عيـد

الإنسان في أحواله لا تنفك حياته عن فقد عزيز أو فقد مال أو مرض يلم به أو شدة تحيط به، وهكذا الشعوب أيضاً؛ فالنوازل أحداث طارئة أو مستجدة بالمجتمعات في النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، ولا يخلو عصر من العصور من أحداث عظام بمثابة الزلزال العنيف الذي يحيط بها ويُحدث ضرراً قد يمتد أثره زماناً ومكاناً كما هي الحال في الحروب والكوارث البيئية كالزلازل والفيضانات والأعاصير والأوبئة.. وغيرها.

قيم الحضارة الإسلامية وقت النوازل:

اتسمت الحضارة الإسلامية بنظام أخلاقي إنساني وقت النوازل يتناسب مع الحدث، ويساعد في التغلب عليه، والتخفيف من آثاره؛ كالتحلي بالصبر والثبات، والنجدة والإغاثة دون تأنٍ وتراخٍ، وعدم إشاعة عوامل الضعف والانكسار والهزيمة النفسية.

- الصبر والثبات:

تتجلى قيمة الصبر والثبات لمن ينزل بهم البلاء خصوصاً مع استمراره فترة طويلة مما قد يؤدي إلى ضعف القوة النفسية والجسدية، فقد يسخط إن لم يقاوم ذلك الضعف بالصبر والتوكل على الله واللجوء إليه والاستعانة به، يقول سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

ويشير السعدي في تفسيره للآية أن الله سبحانه أخبر أنه سيبتلي عباده بشيء يسير من الخوف من الأعداء، وبشيء يسير من الجوع؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله أو الجوع كله لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك، وذهاب الأموال والأحباب من الأولاد والأقارب والأصحاب، فهذه الأمور لا بد أن تقع، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين؛ جازعاً وصابراً، فمن وفقه الله للصبر؛ فحبس نفسه عن التسخط قولاً وفعلاً، واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له؛ فتكون المصيبة نعمة في حقه، وفاز بالثواب الذي بُشر به الصابرون[1].

والدعاء عند النوازل والتضرع إليه سُنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من الأمور المعينة على الصبر والثبات، يقول سبحانه: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنعام: ٤٣)؛ فالخوف والفزع عند النوازل من طبائع البشر مثل البكاء عند المصائب لا ينم عن السخط.

وقد مرت على المسلمين شدائد، منها: حصارهم في شِعب أبي طالب ٣ سنوات حتى سُمِع أصوات أطفالهم يبكون من شدة الجوع،

لا يُترك أهل البلاء يتجرعون مرارة الصبر والثبات دون مساعدة فالنجدة والإغاثة من المروءة الإنسانية

وفي غزوة «بدر»، و«أُحد»، و«الأحزاب»؛ فلما انتشر الخوف والفزع درجة كبيرة بين المسلمين في غزوة «بدر» أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويتضرع حتى أشفق عليه أبو بكر بقوله: «حسبك مناشدتك ربك»، يقول النووي: قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ليراه أصحابه بتلك الحال؛ فتقوي قلوبهم بدعائه وتضرعه[٢].

- النجدة والإغاثة:

لا يُترك أهل البلاء وحدهم يتجرعون مرارة الصبر والثبات دون مساعدة، فالنجدة والإغاثة من المروءة الإنسانية، وهي في حق الإخوة في الدين أوجب، كما دلّ على ذلك القرآن والسُّنة، ومن أمثلة ذلك ما حدث للمسلمين في المدينة عام «الرمادة» في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أجدبت الأرض، وأصيب الناس بشدة وهمٍّ وضيق وجوع شديد ٩ أشهر؛ فكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بـ٤ آلاف راحلة من طعام فقسمها، وأرسل عمرو بن العاص الطعام إلى المدينة عن طريق البحر حتى صار الطعام بالمدينة كسعر مصر[٣].

ومن ذلك أيضاً نجدة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المغرب ملوك الطوائف في الأندلس لما أبدوا ضعفاً شديداً وعجزاً عن مواجهة ملك قشتالة؛ فطلبوا النجدة من المرابطين للحفاظ على الأندلس من السقوط مدينة تلو الأخرى؛ فلبى المرابطون النداء، واستطاعوا مع أمراء الطوائف هزيمة النصارى في معركة «الزلاقة» عام ٤٧٩هـ التي كانت من أيام الإسلام المشهودة، ولها أثر كبير في الحفاظ على الأندلس بيد المسلمين قروناً أخرى[٤].

- عدم إشاعة الهزيمة النفسية:

عندما أحاط الأعداء بالمسلمين في غزوة «الأحزاب» من كل مكان ليستأصلوهم، وحاصروهم حصاراً شديداً حتى اضطربت قلوبهم من شدة الخوف والجوع؛ فأخذ المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون ينشرون الجزع والخوف والهزيمة النفسية في قلوب المؤمنين لإضعاف إيمانهم وثقتهم في النصر، وهذه الطائفة أشر الطوائف وأضرها حيث تخذل عن الجهاد، وتبين أنهم لا قوة لهم بقتال عدوهم، فهم لو أتيحت لهم الفتنة لأتوها، فهم وأمثالهم المعوقون عن القتال.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾ (النساء: ٨٣)، يقول السعدي[٥]: «إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر».

قيم الحضارة الإنسانية في الوقت الراهن:

من أشد النوازل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم ما يحدث الآن في غزة من إبادة جماعية تنتهك فيها الكرامة الإنسانية بالقتل والاعتقال والهدم والحرق والتجويع لأكثر من مليوني شخص تحت سمع وبصر العالم على مدار ٧ أشهر منذ ٧ أكتوبر الماضي، حتى بلغ عدد الشهداء والجرحى ما يقرب من ١٢٠ ألفاً.

وتتجلى قيم الصبر والثبات لأهل غزة رغم فداحة الكارثة الإنسانية والمجازر اليومية التي يرتكبها الاحتلال الصهيوني، وتنوعت صور الصبر والثبات لأهل غزة كالتالي:

- الصبر والثبات في ميدان القتال رغم تفوق العدو في العدد والعتاد والأسلحة المتطورة، وتكنولوجيا المعلومات والذكاء الاصطناعي، والدعم القوي من دول أوروبا وأمريكا، إلا أنهم ما زالوا يقاتلون عدوهم بكل شجاعة وثبات.

من أشد النوازل التي تعاني منها الأمة اليوم ما يحدث الآن في غزة من إبادة جماعية

- الصبر والثبات رغم الخوف والجوع، وفقد المال والمسكن، والمنع من الدواء، وهدم البيوت وتشريد العائلات، وإحباط مخطط التهجير، فالذي ينجو من القتل معرض أن يموت جوعاً أو مريضاً دون علاج.

- الصبر والثبات على فقْد الأهل والأحباب؛ فهناك عائلات أبيدت تماماً بكامل أفرادها، ومنهم من فقد بعض عائلته، أو بعض الأبناء، وهكذا عمت البلوى الجميع، ومع ذلك لم نسمع إلا كلمات الصبر والثبات والرضا بقضاء الله دون جزع وتسخط.

ورغم هذا الثبات والصمود، فإن قيم الإنسانية لم تستطع نجدتهم وإغاثتهم ودفع الظلم عنهم بالعمل على وقف حرب الإبادة التي يتعرضون لها، ورفع الحصار عنهم والمساعدة في إزالة آثار الكارثة الإنسانية التي يعيشونها بتوفير الطعام والماء والدواء والملاذ الآمن، والعمل على توفير سبل الحياة!■

الهوامش

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج١، ص٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة بدر (١٧٧٩).

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص٣٧٤.

(٤) عبدالله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص٣١٥-٣٢٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ج١، ص٩١.

البُعد المقاصدي في المشروع الإسلامي.. طبيعته وثمراته

د. وصفي عاشور أبو زيد

تواضَع كثيرٌ من المفكرين على إطلاق هذا المركب الوصفي «المشروع الإسلامي» على الحل الذي يقدمه الإسلام لتنظيم شؤون الحياة، وحكم البشرية، والواقع أن «الإسلام»، بوصفه رسالة سماوية، أكبر وأوسع وأعمق من أن يكون «مشروعاً»، فهو دين ورسالة ووحي سماوي، نزل به الروح الأمين على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من قِبل اللطيف الخبير ومن يعلم السر وأخفى؛ ليحكم هذه البشرية بما أودعه الله فيه من مفاسد تُدفع، ومصالح تُجلب، للبشرية في الدنيا والآخرة.

ولكن نزولاً على الاصطلاح المعاصر الذي أطلقه المعاصرون ليجاروا به المشاريع الأخرى؛ بياناً لطبيعته، وتحديداً لأهميته، وكشفاً عن آفاقه، وإظهاراً لتفوقه وتميزه.. نزولاً على هذا كله نتحدث عن المشروع الإسلامي والبعد المقاصدي فيه من حيث طبيعة هذا البعد، وما يترتب عليه من فوائد وثمرات.

طبيعة البعد المقاصدي في المشروع الإسلامي:

إن أعظم ما يمكن أن يتأمله الإنسان في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم المقاصد التي جاءت بها، والغايات التي نزلت لتحقيقها، فإن أي منصف أياً كان دينه حين يُنعم النظر ويُمعن الفكر في معالم هذا الدين وحقائق شريعته، لا يمكنه أو لا يسعه إلا أن يجد غايته هي مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وقد أجمع العلماء على مر العصور على أن الشريعة الإسلامية إنما نزلت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد جميعاً، وأنها كما قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية: «عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى البعث، فليست من

> **الشريعة الإسلامية نزلت لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد جميعاً**

الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل.

فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه وسلم أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل.

فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي

المصالح في النظام الغربي دنيوية متغيرة ومضطربة وقاصرة وتتحول

بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة»[1].

وهكذا كل الأوامر والنواهي الإلهية في القرآن الكريم، وفي السُّنة النبوية، لا شيء فيها غير مصلحة هذا الإنسان المخلوق المكرم؛ ولهذا قال سلطان العلماء العز بن عبدالسلام: «والشريعة كلها مصالح؛ إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله تعالى يقول: «يا أيها الذين آمنوا»؛ فتأمل وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيراً يحثك عليه، أو شراً يزجرك عنه، أو جمعاً بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح»[2].

فهذه هي طبيعة الشريعة الإسلامية، وهذا هو البعد المقاصدي فيها، ولكن من المهم أن نعلم أن البعد المقاصدي هو الذي تدور عليه الأحكام، ومنه تنطلق، وعنه تصدر، وإليه ترجع، فمدار الأحكام إنما هو على تحقيق المصالح، وهذه المصالح أو المقاصد ثابتة لا تتغير، خالدة لا تموت، منضبطة لا تضطرب، مستمرة لا تتوقف، ظاهرة لا تختفي، شاملة لا قاصرة، راسخة لا تُميلها ريح هوج، ربانية لا تحيز فيها ولا نقص، مطردة لا تتخلف عن أي صورة، واضحة ليس بها غبش ولا ضبابية.

قارن ذلك بالمصالح في النظام الغربي ومشروعه، فسوف تجدها مقاصد متغيرة لا ثابتة، وفوق سطح الأرض لا رسوخ لها، وتتخلف في عشرات، بل مئات الصور، ومضطربة لا منضبطة، وتتحول ولا تستمر، وقاصرة لا شاملة، وظاهرة وواضحة في هذا كله.

فمصالح الغرب هي الأولوية، والمصالح عنده دنيوية لا أخروية ودنيوية معاً، إن وقفت الحريات في طريقه دهسها، وإن كانت الأرواح عقبة في تحقيق مصالحه الخاصة أزهقها، وإن كانت الدماء حائلاً يحول بينه وبين تحقيق مصالحه الشخصية أسالها ولا يبالي.

هذا ما نراه في وقعنا، وتصدقه أحداث اليوم، ووقائع الأمس، ولن ينفك الغرب الكافر ولا الشرق الملحد عن هذا السلوك؛ لأنه لا يتبع شريعة من لدن حكيم خبير، ولا يدخل في حساباته العرضُ على الله؛ فإن الإيمان باليوم الآخر منبع الاستقامة في الدنيا، والنهضة الحضارية الشاملة المتوازنة للأمة والإنسانية جمعاء.

ثمرات البُعد المقاصدي في المشروع الإسلامي:

في شريعتنا أو مشروعنا الإسلامي السياسي والاقتصادي والثقافي والتربوي والإعلامي وكل مشتملاته ومتعلقاته، وقد بينا طبيعته قبل قليل، البعد المقاصدي فيه له ثمرات وفوائد عظيمة جداً، ومنها:

أولاً: أنه معيار حاكم على حياة الأفراد والأسر والجماعات والمجتمعات والهيئات والمؤسسات؛ فإن السعي في ضوء المقاصد يعطي معياراً للقياس في جوانب حركة الحياة، وبدون هذا المعيار لا يمكن أن نقيس إنجازنا ولا أين نقف.

ثانياً: أنه يجعلنا نقوم بغايات وجودنا في الاستخلاف والعمارة والعبادة على وجه الإتقان والإحسان؛ لأننا نتعبد الله تعالى به، وبالسعي نحو تحقيق هذا البعد المتغيا من حركتنا وأنشطتنا.

ثالثاً: أنه يجعل هذا المشروع خاضعاً دائماً وأبداً للتقييم والتقويم في ضوء بعده المقاصدي، فإن كان هناك انحراف فإنه يُقوّم في ضوء بعده المقاصدي، وإن كان هناك خطأ يُصحح، وإن كان هناك ضعف يُقوّى، وإن

البُعد المقاصدي معيار حاكم على حياة الأفراد والمجتمعات والهيئات

كان هناك بطء في الحركة فإن تحكيم البُعد المقاصدي يثمر السعي الحثيث الأمين.

رابعاً: أنه يفيد في اختيار الوسائل المناسبة، ويرشد إلى تجديد هذه الوسائل وتقويتها، وتغييرها إن لزم الأمر؛ احتكاماً إلى هذا البُعد المقاصدي المبثوث في مشروعنا الإسلامي ومظاهر الحياة فيه جميعاً.

خامساً: أنه يعين العاملين على تخطي العقبات، ومواجهة التحديات، والتغلب على المعطلات، وتجاوز المحن والابتلاءات؛ لأن هذا البعد المقاصدي الذي هو روح المشروع ولحمته وسداه يجعله مشدود الآفاق، بعيد النظر، عالي الهمة، عيناه على رضا الله تعالى والجنة.

قارن هذا بالمشروع الغربي الذي يحمل عوامل فشله في طياته؛ لأنه لا شيء يتعلق به سوى مصالحه الخاصة المحدودة الفانية، ولا شيء يربطه بعد هذه الحياة بثواب أو عقاب، ومن ثم لا نجد فائدة واحدة من هذه الفوائد تترتب على مشروعه سوى النجاحات القاصرة، والاختراعات المادية المتغيرة، والسعي بنظر قليل وعقل مريض وفكر عليل، وهذا يجعلنا أكثر تمسكاً بعقيدتنا، وأعظم فخراً بشريعتنا: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).■

الهامشان

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٣/ ١١-١٢).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (١/ ١١).

الدين كفكرة مركزية في مشاريع النهضة

القيم التي تنبثق من ثقافة المجتمع تضبط سلوكيات الفرد حتى في غياب الرادع القانوني

إحسان الفقيه
كاتبة صحفية

بعد أن فقدت الأمة الإسلامية ريادتها، ودخلت التيه وأوغلت، وتداعت عليها الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، برزت مشاريع نهضوية لإنقاذ الأمة، تتدافع المناهج والسبل، يحتل عنصر الدين فيها محور الاختلاف، ما بين موجب لوجود أساس الدين في عملية النهضة، ونابذ لهذه الفكرة.

مقومات النهضة

وفقاً لقوانين علم الاجتماع، هناك مقومات لأي مشروع نهضوي يتوقف نجاحه على استكمالها، ونلخص هذه المقومات فيما يلي:

أولاً: الفكرة المركزية:

يعرفها د. جاسم سلطان بأنها «هي في جوهرها مجموعة من المسلمات والعقائد التي يُبنى عليها نظام القيم ويصطبغ بها نظام المجتمع»[١]، فهي الأيديولوجيا التي تصبغ المجتمع، والأساس الذي يعتنقه فيصيغ كل مظاهر الحياة فيه، وينظم شؤونه تبعاً لقواعده وتعاليمه، ومثالها: الحضارة العربية التي ارتكزت على الإسلام، والاتحاد السوفييتي الذي نشأ على فكرة الشيوعية، والولايات المتحدة التي ارتكزت على فكرة الليبرالية.

ثانياً: الفكرة المحفزة:

وهي الفكرة التي تخاطب الدوافع النفسية والفطرة الإنسانية وتمس حياة الناس، وتنطلق في الوقت ذاته من الفكرة المركزية وتتصل بها، وهي التي أسماها المفكر الجزائري مالك بن نبي بالفكرة الدافعة: «المعجزات الكبرى في التاريخ مرتبطة دائماً بالأفكار الدافعة»[٢].

الشيوعية مثلاً قد اتخذت فكرة محفزة عبرت عنها بشعارات «نريد خبزاً»، وكان للمشروع الصهيوني فكرة دافعة لجمع اليهود في فلسطين وهي مصطلح «أرض العسل واللبن»، إشارة إلى خيرات فلسطين، ليضاف إلى فكرة «أرض الميعاد».

ثالثاً: الثقافة:

يقول مالك بن نبي: «الثقافة تعرف بصورة علمية على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته، كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»[٣].

وتكمن أهمية القيم التي تنبثق من ثقافة المجتمع، في أنها تضبط سلوكيات الفرد حتى في ظل غياب الرادع القانوني، الذي لن يستطيع بأي حال من الأحوال أن يغطي كل المساحات في حياة الأفراد، حيث إن هذه القيم الثقافية مستمدة بالأساس من الفكرة المركزية التي أشرنا إليها وقلنا: إنها تمثل الإطار الأيديولوجي.

رابعاً: الإنتاجية:

تعد الناتج الطبيعي لالتزام المقومات الثلاثة المذكورة؛ الفكرة المركزية، والفكرة المحفزة، والثقافة، إذ بعدها تتجه جهود أفراد المجتمع على اختلاف تخصصاتهم

وإمكاناتهم إلى السير في اتجاه واحد ليضع كل منهم لبنة في هذا البناء.

الدين كفكرة مركزية

نكشف الحديث في هذا المقام على الفكرة المركزية، التي تعتبر الأساس للمقومات الأخرى، والخلاف بين مشاريع النهضة في أمتنا يدور حول هذا الأساس، فيم تتمثل الفكرة المركزية؟ أهي الدين أم أساس آخر؟

- من منظور شرعي:

لا قوام لهذه الأمة ولا نهضة لها إلا بما صلح به الأولون وسادوا، فهو مصدر عزتها ورفعتها كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه: «كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»[٤].

والمتتبع لفترات القوة والضعف التي مرت بها الأمة، يرى بوضوح تقدمها ونهضتها وسؤددها الحضاري في الفترات التي تمسكت فيها بدينها، بينما لم يصبها الضعف والهوان والتخلف والفقر والجهل إلا في الفترات التي نأت فيها عن التمسك بتعاليم الإسلام.

ذلك لأن الإسلام دين عمل وإعمار وأخذ بأسباب القوة والحضارة، يصلح الدنيا كما يصلح الآخرة، ويحفز ويشجع على العلم والتقدم والازدهار، بل يجعل التخصصات المطلوبة في الأمة فروضاً كفائية يأثم الجميع إن لم يكن لها من يقوم بها.

- من منظور علم الاجتماع:

لكننا هنا بصدد الحديث عن الدين كفكرة مركزية من منظور علم الاجتماع، فقد ذهب علماء الاجتماع إلى أنه لا يصلح في مشاريع النهضة سوى الدين كفكرة مركزية، فممن ذهب إلى هذا أرنولد توينبي، الذي قال: «أميل إلى مناصرة فكرة دور العقائد الدينية في مجريات التاريخ، فإذا ما ألقينا ببصرنا على الحضارات التي ما برحت قائمة حتى يومنا الحاضر، نجد أنه يكمن وراء كل منها نوع من العقيدة الدينية»[٥].

ويؤكد هذه الحقيقة مالك بن نبي بقوله: «الحضارة لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية»[٦].

وهذا حق لا لبس فيه، فمن يفتش في بذور الحضارات التي قامت في الشرق والغرب، سوف يتبين له أن بذورها كانت الفكرة الدينية.

ولابد للفكرة المركزية أن تعبر عن الهوية الثقافية للمجتمع التي ترسخت عبر تاريخ طويل، بحيث تعبر عن صبغته النهائية، لا أن تكون فكرة دخيلة مستوردة قامت في مجتمع آخر، على أن تكون هذه الفكرة متضمنة لمكون صلب ثابت لا يتغير وهو عقيدة واضحة قادرة على تفسير

علماء الاجتماع يؤكدون أنه لا يصلح في مشاريع النهضة سوى الدين كفكرة مركزية

وفق علم الاجتماع فالأمة لا نهضة لها إلا بفكرة مركزية يمثلها الإسلام عقيدة وشريعة

وتنظيم علاقة الإنسان بالكون، وتجيب بوضوح عن تساؤلاته حول خالقه وموقع الإنسان بين الخلائق ورسالته التي خلق من أجلها، كما ينبغي أن تكون متضمنة لمكون مرن يتمثل في القدرة على التعامل مع مستجدات العصر ومواكبة المتغيرات، وهو ما تمثله منظومة تعاليم الشريعة.

ومن هنا ندرك أنه وفقاً لمنظور علم الاجتماع، فإن هذه الأمة التي جاء الإسلام ليصبح صبغتها النهائية، ومرجعيتها الأخيرة، لا نهضة لها إلا بفكرة مركزية يمثلها الإسلام عقيدة وشريعة، وأما المناهج المستوردة وعلى رأسها العلمانية، فإنها فكرة نشأت في مناخ آخر في ظل فراغ المجتمعات الغربية من فكرة دينية تتحقق فيها تلك المواصفات السالفة التي تجعلها صالحة لأن تكون فكرة مركزية.■

الهوامش

(١) قوانين النهضة، جاسم سلطان، ص١٤.
(٢) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص٤٢.
(٣) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٨٣.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
(٥) مختصر دراسة التاريخ، أرنولد توينبي (٣/ ١٥٢).
(٦) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٥٦.

التعليم وصناعة النهضة

د. مي سمير

إن الإجابة الأولى وربما الوحيدة عن سؤال النهضة المُلحّ في مجتمعاتنا العربية هي التعليم، فنهضة حضارية لا سبيل إلى قيامها واستوائها إلا على قاعدة العلم والتعليم، لا كمرحلة دراسية مؤقتة يمر بها النشء إجبارياً للحصول على شهادات لا تسمن ولا تغني من جوع، ولكن كمنهجية حياتية وقيم أخلاقية يتم تنشئة الأجيال وتربيتهم على اكتسابها وحيازتها طوال حياتهم.

فالمنهج العلمي الذي حض عليه القرآن في أوامر التدبر والتفكر في السماوات والأرض واستلهام عبر الأولين وسنن الكون، بالإضافة إلى الأخلاق القائمة على تكريم الإنسان ككائن يقود الكون وإعلاء شأنه بما يسمو به عن سائر المخلوقات بالعقل والإيمان، هما قاعدتا العلم في القرآن الكريم.

يتضمن التعليم عدداً من القضايا والمسائل التي يجب أخذها في الاعتبار لصناعة نهضة قوية الأركان، فالتعليم يُقصد به المنهجية العلمية والعقلية العلمية بالأساس التي تُعلي شأن العلم كمكون اجتماعي وثقافي وحضاري وأسلوب للتنشئة والتربية ومنهجية للتفكير وطريقة للترقي الاجتماعي والوظيفي والنخبوي، مع الأخذ في الاعتبار التعليم في شكله العام والمهني والديني على حد سواء، وبجميع مراحله بما في ذلك مرحلة التعليم العالي والبحث العلمي، ومرحلة ما قبل الالتحاق بالمدارس لما لها من دور رئيس في تشكيل شخصية الأطفال وتكوين العقلية العلمية منذ سن مبكرة.

من ناحية ثانية، فإن الاتكاء على التعليم بشكل مطلق دون قيد أخلاقي يحمي بوصلة العلم ويوجهها فيما ينفع البشرية ويحفظ النوع الإنساني ويضمن الاستدامة البيئية، أمر مهم يحول دون الإفساد في الأرض ونشر الفوضى وإشاعة الدمار الذي خلفه سيادة مبدأ المادية اللاأخلاقي على التطور العلمي والاكتشافات العملية بما أوصل العالم إلى مشارف الانهيار البيئي والكوارث الطبيعية والتدمير والقتل والحروب وسباق التسلح دونما وازع أخلاقي أو ديني.

ومن ثم يجب الأخذ في الاعتبار ما شهدته الحضارة الإسلامية من مزج متفرد فيما بين الدين/ الأخلاق، والعقل/ العلم معاً؛ فأنتجت إرثاً ثقافياً حضارياً أطل نوره على الكون بأسره ونشر القيم الإسلامية السمحاء، ولا تزال منتجاته الحضارية واكتشافاته العلمية وأفضاله على سائر الحضارات التالية له محفوظة ومشهود بها.

المنهجية العلمية

ويتكئ التعليم على المنهج العملي الذي يذكي مجموعة من القيم والمبادئ في عقول ووجدان النشء والشباب التي تمكنهم من بناء مستقبل أفضل لأمتهم، ومن أهم مبادئ المنهجية العلمية:

- إعلاء قيمة العقل باعتباره المزية التي

ـــــــة.. المنهجية والقيم

فضَّل بها الله الإنسان عن سائر مخلوقات الكون، عبر تشجيع التفكير والتدبر والحض على النظر العقلي.

– الانضباط العلمي الذي يضمن تتبع خطوات ومبادئ متفق عليها بين العلماء والمختصين لتنظيم شؤون الإبداع العلمي بما يلائم كل حقل، ويعمل على تنظيم وضبط البحث العلمي.

– التفكير المنطقي المتسلسل المنظم القادر على الاستقراء والاستنباط وربط المقدمات بالنتائج والتدرج من الخاص إلى العام والعكس.

– التجربة العملية؛ وتتضمن القدرة على إخضاع الفروض التي تمت ملاحظتها لاختبار تجريبي يؤكد النتائج التي تم التوصل إليها، وتتضمن التجربة إمكان التوصل إلى نتائج عكسية؛ ومن ثم تتطلب انفتاحاً عقلياً من جانب الباحث لقبول النتائج وإن خالفت توقعاته أو قناعاته.

ويتطلب النهوض بالعقلية العلمية استنهاض مجموعة من القيم التي تدعم مكانة العلم في نفوس أبناء الأمة، وهي القيم التي تعالج كل منها مرضاً من أمراض التخلف الاجتماعي والحضاري، وتحول دون تسرب تلك الأمراض الثقافية إلى ساحات العلم والتعلم، ومن أهم تلك القيم التي تُعزز العقلية العلمية:

– الحرية: لا يقبل الإبداع العلمي القيود والتضييق والتحجيم، فالعقلية العلمية تحتاج إلى الإبداع الذي لا يتأتى له التحقق من دون إطلاق حرية الفكر وحرية البحث والفهم، وحرية الوصول إلى المعلومات، وحرية التفكير والاطلاع، وحرية التعبير.

– الموضوعية: التي تعني التركيز على الموضوع بدلاً من الشخصنة والذاتية، وتوظيف القضايا والأفكار بشكل غير علمي لإثبات انحيازات مُسبقة، فالموضوعية هي الضد من التحيز الأعمى وتسييس الأفكار أو إخضاع الحقائق للمكايدات بدلاً من الدراسة الموضوعية والفهم المحايد.

– الانفتاح: يعالج الانفتاح العلمي الجمود والانغلاق الذي يسيطر على المجتمعات المتأخرة علمياً وثقافياً، التي ترفض الاطلاع والفهم على أي أفكار تخالف معتقداتها الخاصة ونسقها القيمي خوفاً من انهيار ذلك النسق؛ وهو ما يدفع المجتمعات المتخلفة إلى الانقطاع عن مواكبة تطور الأمم الأخرى والتموضع في موقع ماضوي يمجد الذات ويشيطن الآخرين، ولا سبيل إلى تحقيق نهضة علمية وترسيخ عقلية قوية دون انفتاح على منجزات واكتشافات الحضارات الأخرى ودراستها بتمعن وإنصاف دون موقف مسبق أو انغلاق بدافع أيديولوجي أو مذهبي.

– التعاون: تفرض طبيعة التخصصات العلمية المتفرعة والمتشعبة تحقيق تعاون وتكامل شامل ومنهجي ومنظم فيما بين الفروع العلمية في الحقل العلمي الواحد من ناحية، وفيما بين الحقول العلمية وبعضها بعضاً، وهو ما يتطلب إشاعة قيمة التعاون العلمي التي تحارب أمراضاً مجتمعية وثقافية خطيرة جعلت من النخب مجرد مجموعات من الجزر المنعزلة فيما بين الدارسين والباحثين من الحقول العلمية المختلفة.

– الانضباط: يسهم الانضباط العلمي في إشاعة قيم التنظيم والتنسيق والمراجعة والمراقبة العلمية الصارمة والمنضبطة عبر قواعد يتم ترسيخها من جانب الأساتذة والعلماء والمتخصصين في سائر أفرع العلم، بما يضمن الحيلولة دون أمراض السرقة العلمية والنسخ والانتحال والسطحية والتحيز وغيرها.

استعادة مكانة العلم

وإذا ما ابتغينا إيفاء العلم مكانته التي يستحقها في المجتمع والدولة، فإن إرادة سياسية ومجتمعية يجدر أن تتوافر لكي تزلل للعلم كافة العقبات التي تعرقل استعادة مكانته في قيادة المجتمع، عبر عدد من الخطوات:

– التعاطي مع التعليم باعتباره عملية استمرارية ينتهجها الإنسان طوال مسيرته الحياتية، عبر تثقيف ذاتي وتطوير في المهارات والقدرات واكتساب العلوم والمعارف، باعتبار ذلك منهج حياة وغاية مستدامة لا تنتهي في مرحلة معينة أو سن محددة.

– استعادة شغف القراءة لدى الأجيال الناشئة بعدما تآكلت ثقافة القراءة لمصلحة الانخراط في وسائل التواصل الاجتماعي التي لا تصنع ثقافة ولا تُكسب علماً، بما أسهم في تسطيح الأجيال الجديدة.

– إعادة الاعتبار للعلم لا كشعارات على جدران المدارس وأغلفة الدفاتر، ولكن كتقدير من جانب السلطات والحكومات للنابغين والموهوبين والنبهاء، واعتبار الكفاءة العلمية والعملية المعيار الوحيد للترقي الوظيفي والاجتماعي.

– تسليط الضوء على الرموز الثقافية والعلمية بديلاً عن تصدير مشاهير الفن والغناء والرقص باعتبارهم النخبة، عبر إعلام مسؤول يدرك خطورة صناعة وتنشئة الأجيال التي تقتدي بالمتصدرين والمشاهير في المجتمعات الذين باتوا اليوم منحصرين في فئات معينة بعيدة كل البعد عن العلم والثقافة.

وأخيراً، فإن النهضة العلمية تتطلب جهداً جهيداً من سائر المتخصصين والعلماء في الأمة عبر حوار شامل يقف على أصول الداء، ويعترف ابتداء بالمشكلات ويقر بتواجدها، ويتباحث في أهمية تجاوزها وطرائق ذلك التجاوز، وأبرز الأمراض المجتمعية التي تعرقل نهضة التعلم وترسخ الجهل وتقاوم التغيير، وقبل كل ذلك يتطلب النهوض بالتعليم إرادة سياسية حقيقية ترعى ذلك النهوض وتدعمه مادياً ومعنوياً.■

التعليم يتضمن عدداً من القضايا والمسائل يجب أخذها في الاعتبار لصناعة نهضة قوية

التعليم منهج عملي يذكي مجموعة من القيم والمبادئ في عقول ووجدان النشء والشباب

النهوض بالعقلية العلمية يتطلب استنهاض مجموعة القيم التي تدعم مكانة العلم في النفوس

استعادة مكانة العلم تحتاج إرادة سياسية ومجتمعية تزلل التحديات والعقبات التي تعرقل مسيرته

غزة.. انهيار شامل لمنظومة الأمن الغذائي بفعل العدوان الصهيوني

غـزة ـ محمـد سالـم:

منذ أكثر من نصف عام، انهارت منظومة الأمن الغذائي لسكان القطاع الذين يتجاوز عددهم ٢,٣ مليون نسمة، وباتوا يعانون من المجاعة وسوء التغذية مع تشديد الاحتلال للحصار ومنعه تدفق المواد الغذائية، وتدمير شامل لكل المنظومة الزراعية والإنتاجية بكل أنواعها.

وتسبب تدمير منظومة الأمن الغذائي لأهالي غزة في انتشار المجاعة التي حصدت أرواح العشرات من الأطفال وكبار السن، وسط عجز من المنظمات الدولية عن نقل الغذاء والدواء والمياه للمحاصرين في القطاع، وذلك بفعل سياسة التجويع الممنهجة التي يرتكبها المحتل بحق الأطفال والنساء.

تدمير سلة غذاء القطاع

ويؤكد رئيس المركز العربي للتطوير الزراعي محسن أبو رمضان لـ«المجتمع» أن الاحتلال دمر ٩٥% من منظومة الأمن الغذائي في قطاع غزة، خلال عدوانه المستمر على القطاع منذ السابع من أكتوبر الماضي، من خلال تدمير شامل للقطاعات الزراعية والحيوانية، والصناعية.

وأضاف أبو رمضان أن القطاع سيبقى يعيش على إثر ذلك لسنوات طويلة، خاصة أن الاحتلال الغاشم أقام ما يسمى بالمنطقة العازلة بعمق يزيد على ١٥٠٠ متر من بيت لاهيا شمالاً حتى مدينة رفح جنوباً، مشيراً إلى أن هذه المناطق كانت تشكل سلة خضار وفواكه القطاع، وإعادة التأهيل تحتاج لسنوات طويلة.

وبين أن القطاع الزراعي والحيواني كان يشكل ما نسبته أكثر من ٨٠% في الحصول على الأمن الغذائي خاصة في الخضار واللحوم والأسماك، وتدمير هذه القطاعات بشكل متعمد أدخل أهالي قطاع غزة في مجاعة حقيقية، وهذا ما تم حدوثه على أرض الواقع، خاصة في شمالي القطاع، الذي يشكل اعتماد القطاع عليه بما يزيد على ٦٠% من الثروة الزراعية والحيوانية.

ولفت إلى أن كافة المناطق الشرقية من بيت لاهيا شمالاً حتى رفح جنوباً

أبو رمضان: الاحتلال دمر ٩٥٪ من منظومة الأمن الغذائي في غزة

عياش: ٧٠ ألف أسرة فقدت مصدر دخلها بسبب تدمير الاحتلال منظومة الصيد

عبدالعاطي: الصهاينة يستخدمون الطعام والشراب والدواء سلاحاً لتهجير الفلسطينيين

بطول ٦٤ كم، وبعمق يزيد على كيلومترين تم تدميرها وتجريفها خلال العدوان، وهي مناطق تعد الحاضنة الأساسية للأمن الغذائي.

وتابع أبو رمضان أن حالة الجوع التي تفشت في القطاع ناتجة بشكل أساسي لتدمير الاحتلال لهذه المناطق التي تتركز فيها معظم مقومات منظومة الأمن الغذائي لأهالي غزة.

وأوضح أن خسائر منظومة الأمن الغذائي المدمرة تقدر بعشرات مليارات الدولارات، مؤكداً في الوقت ذاته تعمد الاحتلال تدمير المنظومة الغذائية حتى تبقى غزة تعاني من الجوع وانعدام الأمن الغذائي لسنوات طويلة.

تدمير قطاع الصيد

من جانبه، يشير نقيب الصيادين الفلسطينيين في غزة نزار عياش لـ«المجتمع» إلى أن الاحتلال الصهيوني الغاشم دمر كل منظومة الصيد من بيت لاهيا شمالاً حتى شواطئ رفح جنوباً، من خلال تدمير مراكب الصيادين وحرقها، ومنعهم طيلة أيام العدوان المستمر منذ أكتوبر الماضي من الصيد، وهذا تسبب في فقدان أكثر من ٧٠ ألف أسرة من مصدر دخلها، وكذلك حرمان أهالي القطاع من الثروة السمكية.

وأضاف أن الاحتلال دمر ميناء الصيادين الفلسطينيين بشكل كامل الذي كان يضم أكثر من ألف مركب صيد، مشيراً إلى أن قطاع الصيد انهار بشكل كامل بفعل العدوان وتعمد الاحتلال تدميره.

سلاح التهجير

في سياق متصل، يؤكد رئيس الهيئة الدولية للدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني صلاح عبدالعاطي أن الصهاينة منذ بدء العدوان الغاشم على قطاع غزة يستخدمون الطعام والشراب والدواء كسلاح لتهجير الفلسطينيين، من خلال منع دخول المواد الغذائية والأدوية لمدينة غزة وشمال القطاع، ووضع قائمة بأنواع الأطعمة التي قد يسمح لها بالدخول في بعض الأوقات.

وأكد عبدالعاطي لـ«المجتمع» أن الصهاينة دمروا كافة مخازن الأغذية والمحال التجارية في قطاع غزة، وذلك بهدف تجويع الأهالي لدفعهم للهجرة، مبيناً أنه حتى المخابز لم تسلم من القصف الصهيوني، فقد دمر الاحتلال ٩٠% من مخازن القطاع.

وأشار إلى أن كل أنواع الأغذية نفدت من المحال التجارية، مبيناً أنه تم توثيق تسجيل وفاة ٨٧ طفلاً ومسناً بالجوع، بسبب الحصار ومنع إدخال المواد الغذائية، مؤكداً أن غزة تعيش حالة من انهيار الأمن الغذائي بفعل سياسة التجويع الممنهجة من الاحتلال الصهيوني، لافتاً إلى أن سلاح التجويع وتدمير منظومة الأمن الغذائي لا تقل خطورة عن قصف الطائرات والمدفعية للأبرياء منذ بدء العدوان؛ مما تسبب في استشهاد وإصابة أكثر من ١٢٠ ألف فلسطيني، معظمهم من الأطفال والنساء.

وطيلة ١٧ عاماً الماضية، خضع قطاع غزة لحصار صهيوني ظالم فاقم من حالة الجوع والحرمان، خاصة في أوساط مليون وربع المليون لاجئ فلسطيني في القطاع، معظمهم يعتمدون على المساعدات الإنسانية المقدمة لهم من وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا).■

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (3)

صيغة الوحدة السياسية والإدارية

د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

كنا قد عرضنا في المقال السابق التوجه الأول نحو أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر فيما يتعلق بمسألة صيغ الوحدة السياسية بعد مرحلة سقوط الخلافة الإسلامية، وذكرنا أول صيغة لهذا المنحى وهي التكتلات الإقليمية بين قُطرين أو أكثر، فيما نستعرض في هذا المقال التوجه الثاني المتمثل في الوحدة السياسية والإدارية.

التوجه الثاني: الوحدة السياسية:

يسلّم أصحاب هذا التوجه بأن العالم الإسلامي بحاجة ماسة إلى الوحدة السياسية، لكي يستعيد مكانته الدولية بين أمم المعمورة، غير أن ذلك يقتضي المرور بمرحلة تمهيدية، يتمّ التركيز فيها على تفعيل التعاون بين الأقطار الإسلامية في جميع المجالات، وتذليل الصعوبات التي تحول دون تجسيد وحدة العالم الإسلامي السياسية والإدارية، وتأجيل تقديم التصورات حول صيغة هذه الوحدة، لأن التغلب على الموانع والصعوبات والعوائق من شأنه أن يفضي بالضرورة والتبعية إلى صيغة معينة من صيغ الوحدة، تكفل الأهداف والتطلعات العامة للأمة الإسلامية على الصعيد الدولي.

فالشيخ محمد أبو زهرة يذهب إلى أن الخلافة الكبرى يمكن أن تتحقق دون أن يكون للمسلمين دولة واحدة، وذلك بأن تتحد كلّ الأقاليم والأقطار الإسلامية في توجهاتها العامة المسنودة بروح الأخوة الإسلامية وتعاليم الإسلام، بيد أن ذلك يقتضي جملة من الشروط التي لا مندوحة عنها، أهمها ما يلي:

١- ألا يكون بين أي إقليم وآخر من الأقاليم أو الأقطار الإسلامية خلاف سياسي، يجعل أحدهما يناوئ الآخر في مجال السياسة الخارجية، مع احتفاظ كل إقليم أو قُطر بسياسته الداخلية ونظمه الدستورية، النابعة أصلاً من القرآن والسُّنة ومقاصد الشريعة.

٢- ألا يدخل أي إقليم من الأقاليم الإسلامية في أيّ اتفاق سياسي منفرداً؛ لأن ذلك من شأنه أن يكون مدخلاً لاختلاف المسلمين في سياساتهم الخارجية، فسداً للذريعة لا يجوز الاتفاق الانفرادي لأي قُطر أو إقليم إسلامي، حتى يكون المسلمون في المحافل الدولية كتلة واحدة مرهوبة الجانب[1].

أشواق الوحدة

ومن بين من نعدّهم من أهل هذا التوجه الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، فهو يسلّم بضرورة الوحدة الإسلامية في أبعادها المختلفة، كما يعدّ الوحدة السياسية والإدارية شاملة لغيرها من معاني الوحدة، لكنه يحذر من محاولات التسرع في إقامة هذه الوحدة على أساس عاطفي أو حماسي متعجّل، ويرى أن من أهم واجبات الأمة الإسلامية أن تُحيي في ناشئتها أشواق الوحدة الإسلامية، والأخوة الإيمانية؛ لأن صورة من صور هذه الوحدة سوف [illegible] بأرض الإسلام في يوم من الأيام.

مع العلم أن الشيخ الميداني يؤمن بضرورة سلك الأسلوب الارتقائي المتدرّج للوصول إلى تلك الصيغة أو الصورة المنشودة من وحدة الأمة الإسلامية، ويضع عدة مقترحات يرى جدواها في المرحلة الراهنة، وأنها إذا أُحسن استثمارها في واقع الأمة، فإنها تمهد السبيل للوصول إلى تجسيد الوحدة الإسلامية الحقة بكلّ أبعادها ومعانيها، وهذه المقترحات تتمثل في الآتي:

١- إعداد نظام من الأحكام الشرعية للعلاقات الاجتماعية المدنية، ليكون بديلاً جاهزاً للقوانين المدنية المستوردة، الموجودة في معظم أقطار العالم الإسلامي، وأن يتشكل مكتب من الخبراء لمتابعة إنجاز هذا النظام، وبعد توفره يُعقد مؤتمر موسع للفقهاء والقانونيين الإسلاميين من كلّ أقطار العالم الإسلامي لاستعراض فصول ومواد وبنود هذا النظام والتصويت عليها فصلاً فصلاً، ومادة مادة، وبنداً بنداً.

٢- توحيد نظام التعليم العام ومناهجه وكتبه ومقرراته في العالم الإسلامي، حتى نهاية المرحلة الثانوية، والتقريب ما أمكن بين مناهج التعليم الجامعي.

٣- العمل على توحيد النُّظم الإدارية المختلفة، على أن تكون مستمدة من الشريعة الإسلامية ومنسجمة مع أحكامها ومقاصدها العامة.

٤- تأسيس منظمة إسلامية تقوم

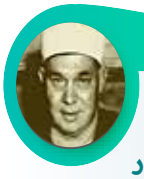

أبو زهرة: الخلافة يمكن تحقيقها باتحاد الأقطار الإسلامية في توجهاتها المسنودة بروح الأخوة وتعاليم الإسلام

بترجمة معارف الشعوب الإسلامية، وترجمة كلّ ما يجدّ من معارف أساسية لدى جميع شعوب الأرض، وطباعتها باللسان العربي أولاً، ثم بألسنة الشعوب الإسلامية ثانياً، كي تكون مراجع للباحثين من أبناء الأمة الإسلامية.

٥- العمل على نشر اللغة العربية في جميع بلدان العالم الإسلامي، وجعلها لغة الدين والعلوم والمعارف الإسلامية، واللغة الثانية في التواصل والتخاطب بعد لغة أي بلد إسلامي غير عربي، وعلى البلدان العربية أن تبذل جهدها في تأليف الكتب الفنية التي تساعد في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٦- تشجيع المصارف الإسلامية الملتزمة بأحكام الشريعة الإسلامية، في كلّ أقطار العالم الإسلامي، وتطوير أدائها، كي تكون بديلاً للبنوك والمصارف الربوية، التي تهيمن على الحركة الاقتصادية في الوقت الراهن.

٧- تفعيل وتكثيف اللقاءات بين صفوة العالم الإسلامي من علماء ومفكرين وتربويين وخبراء في كلّ المجالات والتخصصات، ونقل الخبرات والتجارب، ودراسة العراقيل التي تحول دون تحقّق الصورة المثلى للوحدة بين المسلمين[٢].

من جهته، يذهب الشيخ محمد المجذوب إلى أن المسلمين كانوا عبر كلّ مراحل تاريخهم يدركون أهمية الوحدة في وجودهم، فكانوا كلما نجح المفسدون في إيهانها بالدس وبثّ السموم، عمدوا إلى رتق الفتوق باستصلاح ما وَهَى من ذلك البنيان.

وفي عصرنا هذا أصبح الأمر أكثر تعقيداً، نتيجة أثر الماضي في حاضر الأمة،

الميداني: من واجبات الأمة أن تُحيي في ناشئتها وشبابها أشواق الوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية

ونجاح الاستعمار الحديث في النأي بأعداد هائلة من أبناء أمتنا الكبيرة عن المنهج الصحيح الذي كان عليه سلف هذه الأمة، وبناء على ذلك يقترح الشيخ المجذوب، للوصول إلى استعادة طريقة من طرق التماسك، قبل إنجاز الوحدة السياسية الكاملة، المرور بالخطوات الآتية:

١- العمل على إزالة التناقضات الاجتماعية والسياسية في توجهات الأنظمة العربية والإسلامية، حيث يُلاحظ أن البعض يميل إلى التوجه الليبيرالي، والبعض الآخر يعلن التزامه بالنهج الاشتراكي، في حين يمزج البعض الآخر بين جملة من التوجهات والآليات، لا سيما في المجال الاقتصادي، ولا يخفى مخالفة الكثير من المعاملات المستمدة من هذه التوجهات للشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة.

٢- إقامة سوق إسلامية مشتركة، تشمل كلّ منتوجات ومصنوعات العالم الإسلامي، مع رفع الحواجز الجمركية، فهذه السوق تتيح للمسلمين أن يعرف بعضهم بعضاً في مجال موهبة التجارة والإبداع الحِرفي والصناعي، وبذلك ينتفع كلّ إقليم بما لدى الآخرين من إمكانات تغنيهم عن الاعتماد على الأجانب في الشرق والغرب، فيوفرون أموالهم، ويجعلون قسطاً منها -عن طريق التبادل- يدور في فلك الاقتصاد الإسلامي، بدل أن يدور في دواليب الاقتصاديات الأجنبية، ولا يمكن لأي أحد أن ينكر مدى أثر التكامل الاقتصادي في السير باتجاه تحقيق الوحدة المنشودة بين المسلمين.

٣- تأسيس محكمة عدل إسلامية، يشرف عليها كبار علماء الشريعة، بالإضافة

إلى ذوي الخبرة من كلّ التخصصات الشاملة لمختلف جوانب الحياة، إذ من شأن هذا العمل أن يكشف عن فعالية الأحكام الشرعية في فض المنازعات بين المسلمين؛ أفراداً وهيئات وأنظمة، وأثر نظام الشورى في التآلف، وتعضيد عناصر القوة في الأمة المسلمة[٣].

وختم الشيخ المجذوب مقترحاته، التي تمثل خطة تدريجية بالسير غير المتعجل نحو وحدة الأمة الشاملة، التي تعني استئناف الإسلام لدوره على الصعيد الإنساني بقوله: «ولعمر الحق أن في هذه الوحدة فرصة الدهر أمام الدول الإسلامية التي تؤمن بضروب التقارب، لإنقاذها من التيه الذي صارت إليه، والضامن الأوحد لاسترداد مكانتها المفقودة في الحضور العالمي، ولن يكلفها ذلك سوى الاقتناع بمبادئ النظام الذي تقوم عليه هذه الوحدة؛ وهو الذي تنتظره الدنيا بعد أن أفلست سائر أنظمتها الوضعية، ثم تأتي الخطوة التالية بإعادة ترتيب أوضاعها الإقليمية على أساس هذه المبادئ»[٤].

حالة غير طبيعية

وممن يعولون أيضاً على ضرورة نهج مسلك التمهيد وقطع المراحل الطبيعية اللازمة، للوصول إلى إحدى الصيغ المناسبة لوحدة المسلمين السياسية، المستشار عبدالله العقيل، إذ إنه يقرّ بأن أعداء أمتنا قد انتبهوا منذ أمد بعيد إلى قيمة الوحدة وإلى علاقتها المطردة بقوة الأمة وسيادتها، فكادوا لها وعملوا على التسلل إلى صفوف المسلمين لإيجاد الفرقة وإحداث التناقضات بينهم، وإقامة الحواجز بين أقطارهم، وشغلهم بحدود وطنية مصطنعة، وتشجيع الدعوات القومية والحركات الباطنية المعادية للإسلام.

لذلك، فإن ما يراه المسلم حالياً من حالة الضعف والتخلف والتفكك والتبعية السياسية والاقتصادية يجب أن يُفهم بأنه حالة غير طبيعية مخالفة لتعاليم الإسلام ومقاصد شريعته، وأن مقتضى تغيير هذا الواقع، إنما هو العمل الجاد من أجل عودة الوحدة بين المسلمين، في كلّ أبعادها ومجالاتها، فالإسلام لا يرضيه إلا أن يصبح المسلمون

الغامدي: الشعوب الإسلامية لا تزال تعبر عن إصرارها وتمسكها بالوحدة الإسلامية وتتنادى بالتلاحم والوحدة

كتلة سياسية وإدارية وحضارية واحدة، لأنهم أمة واحدة.

غير أن المستشار العقيل يؤمن بالتدرج المؤسس على جملة من التمهيدات، خاصة إذا تعلق الأمر بالوحدة السياسية، ومن أهم الخطوات التي تساعد في بلوغ هذا الهدف الكبير، تتمثل بنظره، فيما يلي[٥]:

١- الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية، من خلال:

- توحيد المناهج الدراسية في المراحل التعليمية المختلفة، وشمولها لكلّ ما يتعلق بالأمة الإسلامية.

- تيسير سبل السياحة والرحلات والتنقل بين البلاد الإسلامية، وتسهيل إجراءاتها، وإنشاء شبكة مواصلات متنوعة تربط بين أقطار العالم الإسلامي، لتمكّن المسلمين من الاطلاع على معالمها، والتزوّد من معارفها وثقافاتها.

- التوحّد اللغوي، بأن تكون اللغة العربية لغة التعامل الرسمية بين البلاد الإسلامية، بغرض تسهيل عملية التواصل بين المسلمين على اختلاف أقطارهم، ولا يعني ذلك إلغاء اللغات القومية للبلاد الإسلامية، وإنما المقصود أن يُقبل المسلمون على تعلّم اللغة العربية -لغة القرآن الكريم- ليتمكنوا من عملية الاتصال والتواصل فيما بينهم.

٢- حسن استغلال موسم الحج، ليكون سبيلاً للتعارف، ومناقشة أحوال المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبادل الرأي، والشورى في شؤون المسلمين، وإقامة ندوات في موسم الحج تجمع أبناء كلّ تخصص لمناقشة حاجة الأمة في تخصصهم، فالفقهاء يجتمعون في ندوات تدارس الفقه،

عروة: مسألة الدولة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية التي تمرّ بها أمتنا مغامرة مبتسرة ومحفوفة بالأخطار

والاقتصاديون يجتمعون في ندوات تدارس الاقتصاد الإسلامي والسبيل إلى نموّه، وكذلك المهندسون والأطباء والإعلاميون، وبذلك يشهد المسلمون منافع لهم، فيسعون لتنفيذها في واقعهم.

٣- نصرة قضايا المسلمين، واتخاذ مواقف عملية ضد أي جهة تعتدي على أي قطر إسلامي كالمقاطعة بجميع أشكالها، واعتبار الاعتداء على أي إقليم إسلامي اعتداء على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ينبغي مقاومته والردّ عليه.

٤- تفعيل دور المنظمات والمؤسسات القائمة، كمنظمة المؤتمر الإسلامي (التعاون الإسلامي حالياً) والجامعة العربية وغيرهما، ومنحها من الصلاحيات والسلطات والموارد المالية، ما يجعلها قادرة على اتخاذ خطوات جادة على طريق مشروع الوحدة الإسلامية، مثل فض النزاعات والخلافات الناشبة بين الأقطار الإسلامية.

٥- الاعتناء بالتكامل الاقتصادي بين الأقطار الإسلامية، والعمل على بلوغ مستوى الاكتفاء الذاتي، ويكون ذلك عبر:

- إنشاء شركات ومصانع إسلامية برأسمال إسلامي، يتسع نطاق عملها الجغرافي ليشمل كلّ الدول والأقطار الإسلامية.

- حثّ جمهور المسلمين في بقاع الأرض المختلفة على تشجيع منتجات الشركات والمصانع الإسلامية بالإقبال عليها بدلاً من منتجات الشركات والمصانع الأجنبية.

- حظر استيراد أي منتج من الخارج إذا وجد في أحد الأقاليم الإسلامية ما يغني عنه، حتى وإن كان أقلّ منه في الجودة

والكفاءة، كما لا يُصدّر أي منتج إلى الخارج إذا كان أحد الأقطار الإسلامية بحاجة إليه.

- توحيد العملة النقدية المتداولة بين الأقاليم والأقطار الإسلامية، مما يسهل عملية التبادل التجاري والمصرفي بينها، مع إزالة الحواجز الجمركية، لأن حركة الاستثمار والتبادل التجاري تقتضي ذلك.

- فتح باب الهجرة بين كلّ الأقطار الإسلامية؛ لتسهيل الانتفاع بالموارد البشرية، فبعض البلاد والمناطق الإسلامية تزخر بالموارد البشرية، وبعضها تزخر بالموارد الطبيعية التي لا تجد من يستثمرها وينتفع بها، وفتح باب الهجرة يسهّل الانتفاع بهذه الموارد، ويساعد على قيام وحدة اقتصادية بين المسلمين.

٦- السعي إلى إقامة الخلافة الإسلامية التي تضمّ شتات المسلمين تحت راية واحدة، هي راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وإيجاد الخليفة المسلم الذي يحسم أمور الخلاف التي تظهر بين المسلمين، فهذه الخلافة كفيلة باستعادة القوة والعافية للأمة الإسلامية، واستئناف دورها الدعوي ورسالتها الحضارية بين الأمم.

مغامرة مبتسرة

أما د. أحمد عروة، فيعتقد بأن «مسألة الدولة الإسلامية في هذه المرحلة التاريخية التي تمرّ بها أمتنا، مهما كانت الصيغة التي يمكن الاتفاق حولها، تعدّ مغامرة مبتسرة ومحفوفة بالأخطار، لن تؤدي، حتى لو نجحت محلياً ومؤقتاً، إلا إلى تفاقم الانقسامات، لا سيما أننا قد رأينا إلى أي حد بلغت حساسية بعض الناس بالنسبة لمشكلات الوحدة السياسية للعالم الإسلامي»[٦].

وإذا كان العامل الخارجي حاضراً في هذا التحليل، باعتبار أن الكثير من القوى الراصدة لحركة الإسلام المتخوّفة من قوته ما تزال «ماضية في القبض على زمام الأمور وفي استغلال هذه الطاقة الهائلة المطوية في الشعور بالوحدة لدى الشعوب الإسلامية، وتوجيهها لمصلحتها بعد تشويهها، رغم أن الإسلام لا يستطيع أن يفرض نفسه قوة ثالثة إلا بحفاظه على شخصيته؛ أيديولوجياً وسياسياً، وهو أمر لا يُستطاع أن يُتصور ما بقيت البلاد الإسلامية معتمدة؛ تقنياً واقتصادياً وثقافياً، على مشيئة الدول الكبرى؛ أي أن الطريق المؤدي إلى الوحدة السياسية والأيديولوجية يُعدّ عملاً شاقاً دؤوباً، يتطلب إيماناً عميقاً وجهداً موصولاً وإرادة لا تتزعزع»[٧].

من جهته، يؤكد د. أحمد الغامدي على كون الطموح نحو الوحدة الإسلامية بمعناها السياسي الشامل لغيره من مضامين ودوائر الوحدة، يُعدّ طموحاً واقعياً، كما أنه من الحقوق المشروعة، لا يجوز لأحد مصادرتها أو الوقوف في سبيل تحقيقها كائناً من كان، لا سيما أن هذه الوحدة من أهم وأخطر واجبات الأمة الإسلامية التي لا يجوز لها التخلي أو التقاعس عنها مهما كانت المعوقات، بناءً على طبيعة النصوص الواردة بشأنها.

فكما هو معلوم أن الأمر للوجوب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا سيما أن الوحدة الإسلامية كانت واقعاً تنعم به الشعوب الإسلامية أزمنة مديدة على تعاقب الدول التي حكمتها مع تفاوت في تطبيقاتها، إلى أن جاءت معاهدة «لوزان» واتفاقية «سايكس بيكو» المشؤومتان اللتان حرمتا الأمة الإسلامية من نعمة الدولة الواحدة والهوية الواحدة والوطن الواحد؛ أي من المجال الذي كانت تحتمي به في ظل الخلافة الإسلامية.

والسؤال هنا: هل الشعوب الإسلامية الآن تطمح إلى الوحدة الإسلامية أم لا؟ الواقع أنه برغم ما بذلته الدول المحتلة من قتل وتشريد ونهب، وبرغم ما بذلته المنظمات المصاحبة لها من تغريب وتفريق، وبرغم ما تبذله الحكومات العميلة للاستعمار الأجنبي بعد خروجه من تغييب لثقافة الوحدة الإسلامية، بما تملكه من آلة هدم فكري وإعلامي عبر إحياء النعرات العرقية والطائفية والقطرية وغيرها من الوثنيات.. فإن الشعوب الإسلامية لا تزال تعبر عن إصرارها وعن مدى تمسكها بالوحدة الإسلامية، فهي تتنادى بالتلاحم والوحدة في كلّ محنة تمرّ بها.

وقد تجلى ذلك مثلاً خلال الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، كما تجلى أثناء العدوان البربري الصهيوني/ الصليبي على أهل غزة الشامخين بالعزة والإيمان والصمود.

ويذهب د. الغامدي إلى أن العوامل التي حالت بين الشعوب الإسلامية وتحقيق الوحدة بينها في كلّ المجالات، وخاصة الوحدة السياسية، يمكن حصرها في عاملين اثنين، هما:

الأول: أنظمة الحكم التي لا تعبّر عن طموحاتها الحقيقية.

الثاني: الدول المحتلة المهيمنة على البلاد

المجذوب: ضرورة العمل على إزالة التناقضات الاجتماعية والسياسية في توجهات الأنظمة العربية والإسلامية

الإسلامية.

ولقد تمثلت محاربتهما للوحدة الإسلامية، حسب رؤيته ومنظوره، في الآتي:

١- ما تمليه تلك الأنظمة الفاسدة والدول المحتلة والمهيمنة من تخويف للشعوب الإسلامية من بعضها بعضاً باسم الطائفية والهيمنة الأحادية والاستئثار بالمصالح وغيرها.

٢- ما تبثه تلك الأنظمة الفاسدة والدول المحتلة أو المهيمنة المتعاونة معها، من تضليل وتشويه وتحقير للشعوب الإسلامية الأخرى.

٣- ما تقوم به تلك الأنظمة الفاسدة والدول المحتلة والمهيمنة من ضرب للحركات والأحزاب الإسلامية التي تتبنى مشروع الوحدة الإسلامية كمبدأ وهدف إستراتيجي، يعزز مبدأ حماية الأمة الإسلامية من الأخطار وعودة مكانتها على الصعيد الدولي.

٤- ما تخدّر به تلك الأنظمة الفاسدة والدول المحتلة والمهيمنة مشاعر الشعوب الإسلامية بالعمل على إنشاء مؤسسات لا روح فيها، لأنها انعكاس لسياسات تلك الأنظمة، التي لا تؤمن بهدف وحدة الأمة ولا تعمل من أجل تحقيقه.

إن هذه الأنظمة عامل فرقة وهدم للوحدة الإسلامية، وهي أيضاً ماضية في سبيل هدم كل عمل جاد يوحد الأمة ويلم شملها، تجاوباً مع مصلحتها الذاتية الرئيسة المتمثلة في البقاء جاثمة على صدور تلك الشعوب، وتناغماً مفضوحاً مع رغبات القوى الغربية والشرقية المهيمنة على بلاد المسلمين الناهبة لخيراتها ومقدراتها.

لكن السؤال العملي المهم: كيف المخرج من هذه الأزمة التي تقف حجر عثرة في طريق طموحات الأمة المسلمة، التي لن تتحقق إلا بتحقّق وحدتها؟

والجواب أن ذلك ممكن وليس بالمستحيل مع شدة صعوبته، فهذه المهمة الشاقة قد قامت بها مع تفاوت ملموس كثيرٌ من شعوب الأرض، فعلى سبيل المثال الولايات المتحدة الأمريكية ألم تكن منطقة مستعمَرة ومجموعة ولايات متفرقة، وهي الآن أكبر قوة في العالم! وكذلك دول الاتحاد الأوروبي ألم تكن دولاً متناحرة متحاربة فيما بينها إلى عهد قريب، وها هي الآن بيت واحد! ولا ريب في أن وحدة الشعوب الإسلامية أيضاً ممكنة إذا أخذت بالأسباب الصحيحة الموصلة لها، وأهمها ما يلي:

- الرغبة الصادقة من الجميع في تحقيق الوحدة الإسلامية.

- العزيمة القوية، لا سيما عزيمة أهل العلم والفكر والرأي، في تحقيق وحدة الأمة.

- حشد مختلف الطاقات العلمية والفكرية والإعلامية والسياسية والاقتصادية من قادة العلم والرأي في الأمة لمشروع الوحدة الإسلامية، من أجل نشر مفهومه والتبشير بمردوده على الأمة وأجيالها، وعلى الإنسانية كافة.

- القيام بعمل مؤسساتي يتناسب ومهمة إعادة الوحدة الإسلامية من جديد.

- إنشاء مراكز بحث وتأصيل في كلّ مدينة وبلدة تؤصل مفهوم الوحدة وتنشر ثقافتها، وتردّ الشبهات التي يبثّها المغرضون أو المناوئون لمشروع وحدة الأمة.

- دراسة الواقع الإسلامي والعالمي ورصد إمكانية استثمار الفرص المتاحة من أجل التمكين لفكرة الوحدة الإسلامية وترسيخها.

- تفعيل الهيئات والمنظمات الرسمية القائمة في المجال الإسلامي، التي يمكن أن تكون أداة معزّزة لمشروع وحدة الأمة، كمنظمة التعاون الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي وغيرها.

- حشد الرأي العام وتأهيله كقوة ضاغطة على الأنظمة، للعمل باتجاه الوحدة الإسلامية باعتبارها ضرورة قصوى في هذه المرحلة، من أجل أمن الأمة الإسلامية، واستئناف دورها الدعوي والإنساني على الصعيد العالمي[٨].

العقيل: الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية وتوحيد اللغة واستغلال موسم الحج ونصرة قضايا المسلمين

نستنتج من عرض أفكار ومرئيات أصحاب التوجّه الثاني أنهم يركزون أساساً على الجهود التمهيدية التي من شأنها أن تهيئ الظروف المناسبة لوحدة المسلمين السياسية، وذلك يعني في المقدمة التركيز والتشديد على إزالة العوائق وتذليل الصعوبات والموانع الإدارية والفكرية والسياسية التي وضعتها القوى الاستعمارية المعادية للإسلام والمسلمين ووحدتهم، كي يضمنوا ترسيخ وترسيم الواقع الذي وضعوه بأنفسهم وأشرفوا على تنفيذه منذ اجتماع «لوزان» ومعاهدة «سايكس بيكو» المشؤومة.■

الهوامش

(١) محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، د.ت، ص٣١٢.

(٢) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الأمة الربانية الواحدة، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) محمد المجذوب، الطريق السوي إلى وحدة المسلمين، دار الشواف، الرياض، ط٢، ١٩٩٥م، ص١٠١.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٥) عبدالله العقيل، الطريق إلى وحدة إسلامية، مركز الإعلام العربي، ط٣، القاهرة ٢٠١٠م، ص٣٩-٤٠.

(٦) أحمد عروة، الإسلام في مفترق الطرق، ترجمة عثمان أمين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط١، الجزائر، ١٩٨١م، ص١١٢.

(٧) المرجع السابق، ص ١١٣

(٨) موقع الدرر السنية، تاريخ ١٦/ ١٢/ ٢٠٢٣م.

من الأحاديـث الأربعيـن الفلسطينيـة(1)

د. يوسف السند
إمام وخطيب بـــوزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلاميـــة بالكـــويت

التأصيل الشرعي للقضية الفلسطينية هو الأوجب اليوم لمواجهة خيانة وكارثة التطبيع مع العدو الصهيوني المحتل، وهذه بعض من الأحاديث التي تؤصل قضية فلسطين التأصيل الشرعي، وهي تصلح كخطاب نورّثه للأبناء والأحفاد والطلاب.

المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى:

روى الإمام مسلم بن الحجاج بسنده، أن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «صلينا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستةَ عشرَ شهراً، أو سبعةَ عشرَ شهراً وصُرف إلى القبلة»(2)، فالمسجد الأقصى المبارك أول قبلة للمسلمين.

المسجد الأقصى وُجد في الأرض بعد المسجد الحرام:

روى الإمام البخاري بسنده، عن أبي ذر رضي الله عنه قُلتُ: يا رَسولَ اللَّه، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ»، قُلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «ثُمَّ المَسْجِدُ الأَقْصَى»، قُلتُ: كَمْ كانَ بيْنَهُمَا؟ قالَ: «أَرْبَعُونَ»، ثُمَّ قالَ: «حَيْثُما أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ، والأَرْضُ لكَ مَسْجِدٌ»(3).

المسجد الأقصى ثالث المساجد التي لا تُشد الرحال إلا إليها:

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجِدَ: المسجدُ الحرامُ، ومسجدي هذا (المسجد النبوي الشريف)، والمسجدُ الأقصى»(4).

المسجد الأقصى رآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة:

روى الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ في الحِجْرِ، فَجَلا اللَّهُ لي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عن آياتِهِ، وأنا أنْظُرُ إلَيْهِ»(5).

ملائكة الرحمن تبسط أجنحتها على أرض الشام:

روى الإمام أبو عيسى الترمذي بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلفُ القرآن من الرِّقاع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا طوبَى للشَّام، يا طوبَى للشَّام، يا طوبَى للشَّام!»، قالوا: يا رسولَ، وبم ذلك؟! قال: «تلك ملائكةُ الله باسطو أجنحتها على الشَّام»(6).

الطائفة المنصورة بأرض الشام لا يضرهم من خذلهم:

روى الإمام أبو داود الطيالسي بسنده قال: حدثنا معاوية بن قرة، عن أبيه قرة بن إياس المزني رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا فسدَ أَهْلُ الشَّام فلا خيرَ فيكم، لا تَزالُ طائفةٌ من أمَّتي منصورينَ لا يضرُّهم من خذلَهُم حتَّى تقومَ السَّاعةُ»(7).

الحجر والشجر ينصران المسلم على اليهودي:

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلُهم المسلمون، حتى يختبئَ اليهوديُّ من وراءِ الحجرِ والشجرِ، فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ: يا مسلمُ، يا عبدَ اللهِ، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقْتلْه، إلا الغَرْقَدَ، فإنه من شجرِ اليهود»(8).

أفضل الرباط عسقلان:

روى الإمام الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوَّلُ هذا الأمرِ نُبوَّةٌ ورحمةٌ، ثمَّ يكونُ خلافةً ورحمةً، ثمَّ يكونُ مُلكاً ورحمةً، ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، فعليكم بالجهادِ، وإنَّ أفضلَ جهادِكم الرِّباطُ، وإنَّ أفضلَ رباطِكم عَسْقلانُ»(9). ■

الهوامش

(١) الأحاديث الأربعون الفلسطينية، رواية وتخريج نايف منير نايف فارس (وقد اختصرت تخريج الأحاديث).
(٢) رواه مسلم، والبخاري، والنسائي.
(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.
(٤) البخاري، ومسلم، وأبو داود.
(٥) البخاري، ومسلم، والترمذي.
(٦) الترمذي، وقال: حسن غريب، وراه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(٧) الطيالسي، وأخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.
(٨) مسلم، والبخاري، وأحمد.
(٩) الطبراني في الكبير.

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (8)

حشد الجماهير

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس الثامن بعنوان «حشد الجماهير».

د. رمضان أبوعلي

أستاذ جامعي– دكتوراة في الدعوة الإسلامية

يقصد بـ«حشد المدعوين» جمع الناس في مكان واحد بقصد التأثير فيهم.

التأصيل الشرعي:

راعت الشريعة الإسلامية ميل الإنسان إلى الاجتماع، فأقرت ذلك في أحكامها وتوجيهاتها، حيث اتسمت الشعائر الإسلامية الكبرى بالجماعية، وجاءت النداءات القرآنية والنبوية –في غالبها– بصيغة الجمع، حيث إن الاجتماع يشجع الأفراد على إنجاز الأعمال الكبرى، من خلال التعاون فيما بينهم وتقليد بعضهم بعضاً، وبثّ القوة والحماسة فيهم بسبب التجمع حول الفكرة الواحدة.

التوظيف النفسي:

أكدت الدراسات النفسية أن حشد الجماهير في مكان واحد يسهم في تشكيل روح عامة تقضي على التمايزات الشخصية وتدفع إلى المشاركة الجماعية؛ مما يجعل التأثير فيهم أقوى من مخاطبتهم منفردين، حيث إن التأثير في شخصيات عشرة أفراد إذا أمكن جمعهم في جماعة، أسهل من التأثير في شخصية كل منهم على حدة[1]، والسبب في هذا هو ما تتميز به التجمعات البشرية من نقل السلوك بين أفرادها عن طريق العدوى الاجتماعية، كما يستجيب الناس فيها لمن حولهم بمجرد الإيحاء، وتكون النفس فيها قابلة للتحريض، مندفعة في التصرف، مهيأة للتماثل مع الآخرين، بل إن الفرد قد يشعر وسط الحشد الجماهيري بالإلزام،

الذي يعني الخضوع لما تمليه الجماهير في الموقف الحاضر[٢].

وهذه الخصائص من شأنها أن تجعل الجمهور أثناء الحشد قابلاً للتوجيه متهيئاً له، مما يؤكد فاعلية الحشد في التأثير الدعوي، حيث إن الحشود الجماهيرية تُيَسِّر غرس المبادئ والقيم في الأفراد[٣]، كما تجعلهم يلتقون على قلب رجل واحد، ويقومون بأعمال عظيمة لا يمكن أن يقوم بها كل واحد منهم وهو منعزل عن المجموعة[٤]؛ ولهذا كان حشد الجماهير من أهم المطالب التي ينادي بها الدعاة، من أجل تيسير الاستجابة وحسن توظيف الطاقات البشرية في الجوانب المختلفة.

التوظيف الدعوي:

إذا أدرك الداعية أن حشد الجماهير يؤدي دوراً فاعلاً في التأثير فإنه يتخذ الإجراءات المحققة له في الدعوة العامة، ومنها:

أولاً: حضور الجماهير في المكان المخصص للقاء قبل الداعية، فإن هذا يحقق الشوق له، والتطلع إليه، ويدل على هذا ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يدخل المسجد يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فإذا اجتمعوا خرَج إليهم[٥]، كما يدل عليه أيضاً ما كان في بيعة العقبة الثانية في أوسط أيام التشريق، حيث لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة إلا بعد أن تسللوا إلى منى في موسم الحج[٦].

ثانياً: الحرص على عدم اتساع المسافات بين الجماهير، فإذا كان عددهم قليلاً؛ فيجب أن نختار لهم مكاناً صغيراً، فإذا كان المكان بطبيعته كبيراً؛ فيجب أن نطلب منهم التحرك إلى الأمام، حتى يقتربوا من المتحدث، ويكاد يلمس بعضهم بعضاً، لأن الأماكن الفسيحة المكشوفة والمقاعد الخالية بين المستمعين تثبط الحماسة وتقلل الإثارة، فإذا أردت التأثير في الجماهير؛ فاحشد مستمعيك؛ تحلق بهم بنصف المجهود[٧].

وسبب ذلك أن التقارب بين الجمهور يؤدي إلى إفقاد الإنسان جزءاً كبيراً من فرديته، ويجعله متطلعاً إلى المحيطين به، مشاركاً لهم في انفعالاتهم وحركاتهم بقدرٍ كبير.

حشد الجماهير في مكان واحد يسهم في تشكيل روح عامة تقضي على التمايزات الشخصية

الداعية إذا استطاع أن يجمع جمهوره فإنه ينطلق بهم إلى ما يريد من أفكار وأعمال

المواقف الدعوية التي تحتشد فيها الجماهير تحتاج إلى فقه وحسن إدارة حتى تؤتي ثمارها

ثالثاً: توظيف الحشود البشرية في غرس المبادئ والقيم وإنجاز مشروعات النفع العام؛ حيث إن وجود الشخص مع آخرين كثيرين من أمثاله ينهمكون في نفس العمل والنشاط الذي هو فيه، من شأنه أن يدفعه إلى الحماسة والعمل والوحدة والتماسك والتضحية والفداء.

ويدل على هذا ما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم حين أراد الخروج إلى غزوة «تبوك»، حيث جمع أصحابه في مكان واحد وأخبرهم بوجهته، ثم حثهم على الصدقة، فتسابقوا إليها، حتى جاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، وجاء أبو بكر بكل ماله، وجهّز عثمان بن عفان ثلث الجيش، وأنفق العباس بن عبدالمطلب، وطلحة بن عبيد الله، وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة مالاً وفيراً في تجهيز الجيش[٨]؛ مما يدل على حماستهم لإنجاز المصلحة العامة، حين جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم وحثهم عليها.

الدليل على التأثير الناجح:

إذا استطاع الداعية أن يجمع جمهوره بصورة تحقق الصفات النفسية للحشود البشرية؛ فإنه ينطلق بهم إلى ما يريد من أفكار وأعمال، بل إنه يستطيع أن ينتقل بالجماهير المحتشدة من الباطل الذي اجتمعوا له إلى الحق الذي يريده، ويدل على هذا ما ثبت في السُّنة النبوية الشريفة من أن مجموعة من الأنصار قد وجدوا في أنفسهم شيئاً حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن، فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يعطي رجالاً المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم.

قال أنس: فحُدِّث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبَّة ولم يدع معهم غيرهم، فلما اجتمعوا قال لهم: «ما حديث بلغني عنكم»، فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»، قالوا: يا رسول الله، قد رضينا[٩].

ففي هذا الموقف دلالة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص على جمع القوم وحشدهم في مكان واحد، ثم خاطبهم وأوضح لهم مقصده من فعله فاقتنعوا ورضوا.

والخلاصة: أن المواقف الدعوية التي تحتشد فيها الجماهير تحتاج إلى فقه وبصيرة، وحسن إدارة، حتى تؤتي ثمارها ويستطيع الداعية من خلالها أن ينفذ إلى قلـــوب الجماهيـر، وأن ينتقـــل بهـــم من الضلالـــة والغوايـــــة إلـــى الرشاد والهداية.■

المصادر

(١) سيكولوجية الجماعات والقيادة: د. لويس كامل مليكة، (٢ / ٥٦).

(٢) العقل الجمعي: د. رمضان حميدة، ص ١٤١-١٦٢ باختصار.

(٣) المدخل في دراسة الجماعات الاجتماعية: د. غريب محمد سيد أحمد، ص ٨٩.

(٤) سيكولوجية الجماهير: غوستاف لوبون، ترجمة: هاشم صالح، ص ١٣-١٤.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١/ ٥٣٦).

(٦) السيرة النبوية، ابن هشام، (١/ ٤٤٣).

(٧) التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة: ديل كارنيجي، ص ١١٠.

(٨) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء، (٣/ ١٠٨ رقم ١٦٧٨)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، وانظر: المغازي: للواقدي، (٣/ ٩٩١).

(٩) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (٤/ ١٥٧٤ رقم ٤٠٧٦)، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، (٢/ ٧٣٣ رقم ١٠٥٩).

محطات إيمانية في طريق التربية..

بين كمامة الوجه وخمار الرأس!

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

لفت نظرها منظر الناس وهي تمشي في الشوارع مكممة الفم والوجه بـ«الكمامة» التي لبسها الجميع بأمر القانون الذي يعاقب من يخالفه ويخلعها، كانت تنظر إلى الناس وهم في هلع وخوف من الاقتراب من بعضهم بعضاً مع أنهم يلبسون الكمامة! فقد كان فيروس «كوفيد» المنتشر آنذاك عنيفاً عنيداً ينتظر لحظة ضعف من البعض في مخالفة الأوامر بخلع الكمامة عن الوجه؛ لينقض عليهم كالوحش المفترس الذي قد يودي بحياتهم، فعرفت أن في عدم المخالفة خيراً كثيراً ووقاية لها ولغيرها، وكما يقال: إن الوقاية خير من العلاج.

تأملت ذلك وقد ذكَّرتها تلك الكمامة بالطبيب حين يلبسها هو الآخر مع ملابس العمل، يغطي معها شعر رأسه وكفيه عند إجراء جراحة ما لمريضه؛ حتى لا يؤذيه أو يضره، وحتى لا يؤذَى هو الآخر، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار».

وتعجبت من حال بعض الناس حين لا ينكرون ذلك وقد أصبح أمراً واقعاً تقبلوه ولم يعترضوا عليه أو يصفوه بتخلف أو رجعية، بينما ينكرون على المسلمة أن تغطي شعرها امتثالاً لأمر ربها وتستر جسدها طاعة له وحفاظاً على نفسها ومجتمعها!

بل يصل الأمر في بعض الدول الأوروبية التي بينما تتشدق بالحرية وتأخذ بالديمقراطية، وتدّعي رعايتها لحقوق الإنسان، وتطلب المساواة للمرأة بالرجال، لكنها مع كل ما تدَّعيه من هذه الشعارات البراقة والكلمات الرنانة، تمنع المسلمة من ارتداء الحجاب، ولبس العباءة، وتعاقبها على النقاب إذا غطت وجهها، وتحرمها من المشاركة في الأنشطة الرياضية ما لم تخلع حجابها! ولو كان منديلاً مربعاً صغيراً تستر به شعرها! فلماذا هذه الحرب المستعرة على حجاب المسلمة، ولماذا يؤرقهم هذا المنديل الصغير ويضج مضاجعهم؟! ألا يدعو ذلك للعجب؟!

المرأة المسلمة وحقوق المرأة:

لقد زعم أقوام أن للمرأة الحق في حريتها والمساواة بالرجل، وتعالت الأصوات تهتف تطالب بذلك، فدافع البعض عمن تخرج عن دينها فتتركه، أو تخلع حجابها وترفضه، أو من تتمرد على والديها وأسرتها، ومن تتجرد من ملابسها وتحلق شعر رأسها أو تزيله، وقالوا: إنها حرة، وإن هذه حرية! فلماذا لا يقال ذلك عن المسلمة حين ترغب هذه المسلمة في التمسك بدينها وتصر على حجابها فتظهر إسلامها وهويتها به؟! ولماذا تُضطهد في عملها وتُساء معاملتها وتُهان لأنها مسلمة؟ ولماذا تُحرم

دول أوروبية تتشدق بالحرية وحقوق الإنسان تمنع المسلمة من ارتداء الحجاب وتعاقبها على النقاب!

المرأة المسلمة حرة لكنها لا تخرج على أوامر ربها حفاظاً عليها وعلى المجتمع

أنت مسلمة جعلك الله مربية للصالحين فلا تميلي عن طريق الله ولا تداهني مَن يعاديه

من حقوقها لأنها محجبة؟ أليست هي الأخرى حرة، أم أن الحرية مقصورة على الجميع إلا هي؟!

وهل نالت المرأة حريتها حقاً وهي في كل مكان الضحية الأولى للحروب المستعرة والصراعات المسلحة، محرومة من الأمن والأمان، ثكلى في فقْد زوجها أو أولادها وذويها، وبيتها ومسكنها؛ وتكون مطمعاً للذئاب البشرية التي لا ترحم، وإن منهم لمن يتشفى من المسلمين ويخرج حقده الدفين على الإسلام فيتجرأ على الله عز وجل وينزع عن المسلمة حجابها تنكيلاً بها وإذلالاً لها؟!

الحرية في الإسلام:

إن الحرية في الإسلام مكفولة للجميع، وهي حرية لها ضوابط تضمن لها الاستمرار، وتحفظ الإنسان من الإضرار بغيره ومجتمعه بحجة أنه حُر، لذلك فإن حرية المسلم مشروطة بموافقة الشرع وعدم مخالفته، فللمسلم أن يأكل ما شاء من الأطعمة ما لم تكن مما حرمها الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ١٦٨)، وكذلك في المشرب والملبس، وقد جعل الله تعالى دائرة المباح كبيرة واسعة تغني عن الوقوع في المحرم.

والمرأة المسلمة حرة كذلك لكنها لا تجعل من حريتها سبباً في الخروج على أوامر ربها سبحانه وتعالى، وقد ميزها الله تعالى بحجابها؛ حفاظاً عليها وعلى المجتمع، فلها أن تلبس ما تشاء بشرط ألا تخالف أمر الله في شروط لباسها، فهي مأمورة بالحجاب وهو فريضة عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً﴾ (الأحزاب: ٣٦)، فلا يحل لها أن تُظهر شعرها ولا شيئاً من جسدها لغير محارمها امتثالاً لأمر الله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١)، ومما جاء في تفسير قوله: (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) أنه الوجه والكفان، أما الخُمُر فهي جمع خمار، وهو ما يخمر به؛ أي: يغطى به الرأس على النحر والصدر، فلا يُرى منه شيء، ليسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهن وقُرْطَهُنَّ. (انظر: تفسير الطبري، وابن كثير).

أنت مسلمة:

لقد شرفك الله بالإسلام وجعلك لؤلؤة مصونة بالحجاب، فكلفك به وأمرك بالحفاظ عليه، فهو علامة إسلامك ورمز تميزك واستعلائك عن اتباع الأهواء، أنت به داعية إلى الله عز وجل دون أن تتكلمي بكلمة واحدة، فتمسَّكي به، ونافحي عنه وطالبي بحقك في لبسه، ولا يصدنك عنه قطَّاع الطريق من شياطين الإنس والجن المنتشرين في الأرجاء، الذين يزينون المعاصي ويكثرون من الأماني، ويصدون عن سبيل الله.

أنت مسلمة جعلك الله تعالى مصنعاً للرجال والأبطال المغاوير، ومربية للعباد الصالحين، وداعية إليه بثباتك، فلا تميلي عن طريق الله ولا تداهني مَن يعاديه على طول الطريق، بل كوني قوية وتمسكي بدينك، وحجابك، ولا يغرنك قلة السالكين، فإن الطريق طويل والزاد يحتاج للزيادة، والموعد الحوض، وفي الجنة الملتقَى، فشمري لها ولا تضعفي.

أنت مسلمة، حجابك لا يخضع لهوى نفسك لأنك اخترت الله ورسوله والدار الآخرة، اختاري منه ما تشائين دون أن تتجاوزي شروطه، فحجابك كما ذكر العلماء يجب أن يكون واسعاً فضفاضاً لا يصف تفاصيل الجسد ومواطن الفتنة فيه، صفيقاً لا يشف عما تحته، غير زينة في نفسه، وليس معطراً ولا ثوب شهرة، فهو حجاب متميز في نفسه، وفي أثره، وفي الثواب المترتب على التزامك به، لأن الله تعالى هو الذي أمرك به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٩)، وأبشري أيتها المسلمة المطيعة الثابتة على أمر الله، أبشري بالفوز والأجر العظيم.■

المدرِّب المتألِّق (4)

سمات مساندة.. المرح والتسلية والتحدي والتنافس

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

من خبرة دامت ٣٧ عاماً في عالم التدريب، أؤكد أن هناك سمات مساندة للمدرِّب المتألِّق، وهي بهارات وتوابل التألق، في هذا المقال نسرد بعضاً منها:

١- المرح والتسلية:

إدخال المرح والتسلية في الدورة التدريبية يجعل الدورة متألقة مثل صاحبها، حيث إن دورة ليس فيها مرح ولا تسلية تعد دورة فاشلة، والمقصود بهما هنا ليس إلقاء النكات على المتدربين وإضحاكهم، وإنما سرد مواقف مسلية حقيقية حدثت في الواقع، تبعث المرح في نفوس المتدربين، والتسلية بينهم.

ولنضرب مثالاً: في إحدى الدورات، وفي فقرة التعارف، طلبت من كل متدرب أن يذكر اسمه، ويذكر كلمة إيجابية تبدأ بأول حرف من اسمه، مثال: موسى = متعاون.

بدأ المتدربون يذكرون كلمات إيجابية غير متوقعة، مثل: أحمد = أسد، مريم = ملكة، سعاد = سلطانة، هاني = همّام، وغيرها، وأخذ المتدربون يضحك بعضهم من بعض!

مثال آخر: في إحدى الدورات للصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية حول الذكاء العاطفي وضبط مشاعر الغضب، سردت القصة التالية للمتدربين:

لقد كنت في الإسكندرية، وأردت العودة إلى الكويت، فاتّصلتُ بإحدى شركات التوصيل أطلب سيارة أجرة.

فلمّا وصلت السيارة إليَّ، طلبت من السائق أن يوصلني إلى مطار برج العرب، الذي يبعد مسافة ٤٥ دقيقة قيادة بالسيارة عن الإسكندرية، ودار بيني وبينه الحوار التالي باللهجة المصرية:

فقلت له: هل ممكن أعرف اسم حضرتك؟

قال: معاك المهندس ممتاز.

فقلت: مهندس! وسائق سيّارة بالأجرة!

قال: نعم.

فقلت: يا ترى، اسمك على مسمّى؟

قال: نعم، أنا ممتاز وأبوي ممتاز وأمي ممتازة، وكل أفراد العائلة فيهم صفة التميز.

فقلت: الطريق أمامنا طويل يا باش مهندس ممتاز، عاوز (أريد) أسمع قصة ممتازة من حضرتك.

قال: حاضر، اسمع القصة دي (هذه)، في يوم من الأيّام، اتّصل بيّه (بي) باشا كبير،

وقال لي: بص (انظر) يا ممتاز، فيه عندي معاد بكرة (موعد غداً) الساعة تسعة الصّبح (التاسعة صباحاً)، عاوزك (أريد منك) تكون موجوداً عند الفيلا بتاعتي (الخاصة بي) السّاعة ٨:٣٠، قبل الموعد بنصف ساعة حتّى متأخّرش (لا أتأخر)، واضح؟ فقلت له: واضح يا أفندم.

يقول ممتاز: رحتُ اليوم التّاني (التالي) في مكان الفيلا بتاعت الباشا، فوصلت السّاعة ٨:٣٠، وأنا أنتظر خروج الباشا من بيته، ولكنه لم يخرج، وصارت الساعة التاسعة، والباشا في بيته لم يخرج، وفجأة خرج الباشا، وهو في حالة غضب شديد.

قال الباشا: هُمّ الستات بيعملوا فينا كده ليه؟ (لماذا يفعلن معنا هكذا؟!)، هي ماتعرفش (لا تعرف) أنّ موعدي السّاعة تسعة! بقالها (بقي لها) ساعة أمام المراية (المرآة) بتتزين (تتزين)، وتعدّل في نفسها!

لم ينطق ممتاز حرفاً واحداً، وبدا على وجهه الحيرة والدهشة! ماذا عساه أن يقول؟! فالأمر لا يخصه، ولو تكلم، فسوف يزداد الموقف تأزماً، فآثر السكوت.

وأخذ الباشا يروح ذهاباً وإياباً، وهو يقول لحارس الفيلا: ما تروح وتنادي الست المهببة دي (اذهب وناد هذه المرأة السيئة)، والحارس لا يحرك ساكناً.

فأخذ ممتاز يُحدّث نفسه قائلاً: ربنا يعين السّتّ دي (أعان الله هذه المرأة)، لو نزلت حتصير (ستصير) معركة بينها وبين الباشا، حيضربها (سيضربها)، ممكن يسيل الدم منها!

ثم نزلت زوجة الباشا بزينتها، وكانت الساعة تشير إلى التاسعة والربع.

يقول ممتاز: انتظرت نشوب المعركة بينهما، فإذا بالباشا ينقلب إلى حمامة سلام!

ثم دار الحوار التالي بين الباشا وزوجته:

قال الباشـــا: تفضلي يا ســـــت الكـــــل، تفضلي!

ثم يفتح باب السيارة لها، وكله حب ومودة، وكلمات شاعرية!

ثم قالت الزوجة: هو أنا أخّرتك يا حبيبي؟ قال الباشا: أخّرتيني إزاي؟! (كيف؟!) مفيش (لا يوجد) تأخير ولا حاجة، ده أنا ما أعرفش (لا أستطيع) أعيش من غيرك! تفضلي يا ست الكل!

يقول لي المهندس ممتاز معلقاً على الحادثة: أين ذهب الأسد الضرغام؟! وكيف انقلب إلى حمامة سلام؟! لا أدري!

فأخذ المتدربون يضحكون!

فالمدرب المتألق هو الذي يُدخل المرح والتسلية في دوراته، فالدورة التي تخلو من روح الدعابة تعتبر فاشلة ومملة.

إدخال المرح والتسلية في الدورة يجعلها متألقة والتي تخلو من روح الدعابة تعتبر فاشلة ومملة

من طرق التنافس والتحدي بين المتدربين طرح المسابقات التي تبعث روح الحماسة بينهم

٢- التحدي والتنافس:

إن من طبيعة المتدربين أنهم يسأمون ويتضجرون ويملون بسرعة، وعلى المدرب المتألق إدراك ذلك، وعليه أن يتحدى المتدربين بأسئلة وألغاز، ويجري بينهم مسابقات ليبعث روح الحيوية والنشاط والطاقة والحماسة بينهم.

ومن طرق التنافس والتحدي بين المتدربين طرح المسابقات الإدارية التي تبعث روح التنافس بينهم، وهي كثيرة، منها:

- مسابقة الشخصيات العالمية: حيث يتم عرض صور لشخصيات عالمية اشتهرت في إتقان موضوع الدورة، ويطلب من كل فريق التعرف إليها، وتعطى جوائز للفريق الفائز.
- مسابقة ربط الحروف والقراءة بين السطور: حيث يتم عرض عبارة لعدة كلمات بعضها ظاهر، وبعضها الآخر لا يظهر منها إلا الحرف الأول من الكلمة، ويطلب من كل فريق التعرف إلى الكلمات المخفية.
- مسابقة مربع إدارة الأولويات: حيث يتم عرض ٤ مربعات في إدارة الأولويات؛ أمر من أمور الطوارئ، وآخر في مجال التخطيط، وثالث في مجال المقاطعات، ورابع في مجال توافه الحياة وصغائر الأمور، ويطلب من كل فريق التعرف إلى المربع المناسب لكل عبارة تعرض عليه.
- مسابقة مَن القائل: حيث تعرض عبارات مشهورة قيلت على لسان علماء مشهورين، ويطلب من كل فريق استعمال هاتفه النقال؛ لمعرفة قائليها.
- مسابقة الشعارات: حيث تعرض شعارات لمؤسسات عالمية ناجحة، أو فاشلة مفلسة، ويطلب من كل فريق التعرف إليها.
- مسابقة صح أم خطأ: حيث تعرض عبارات إدارية أو قيادية، ويطلب من كل فريق اختيار الإجابة الصحيحة.
- مسابقة اختر العبارة الصحيحة: حيث تعرض عبارات إدارية أو قيادية، ويطلب من كل فريق اختيار إحدى الإجابات الصحيحة من خيارات متعددة.

وقد تجرى بعض هذه المسابقات على مستوى الأفراد، وتعطى جائزة للفائزين فيها، فالمدرب المتألق يعلم أن إجراء المسابقات وسيلة من وسائل تحفيز المتدربين في الدورات التدريبية.

وفي مقالات قادمـــة، بإذن الله، سنطـرح أمثلـة لكل واحـــدة من هـذه المسابقـات، وطرق إدارتها. ■

اليهود.. البداية والنهاية (6)

فلسطين أرض محرَّمة على الجبناء

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــــة إسلامـــــي

واصل نبي الله موسى السير بقومه قافلاً من مصر إلى فلسطين، تنفيذاً لأمر الله تعالى، فلما أشرف على أبواب الأرض المقدسة، وقبل أن يأمرهم بالدخول، ذكّرهم بفضل الله ونعمه عليهم قائلاً: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٠).

يقول صاحب «الظلال»: «وإننا لنلمح في كلمات موسى عليه السلام إشفاقَهُ من تردد القوم ونكوصهم على الأعقاب، فلقد جربهم من قبل في مواطن كثيرة في خط سير الرحلة الطويل، ثم ها هو ذا معهم على أبواب الأرض المقدسة، أرض الميعاد التي من أجلها خرجوا، الأرض التي وعدهم الله أن يكونوا فيها ملوكاً، وأن يبعث من بينهم الأنبياء فيها ليظلوا في رعاية الله وقيادته.

لقد جربهم؛ فحُق له أن يشفق، وهو يدعوهم دعوته الأخيرة، فيحشد فيها ألمع الذكريات، وأكبر البشريات، وأضخم المشجعات وأشد التحذيرات»[1].

وقبل أن يطلب موسى منهم الدخول إلى الأرض المقدسة، كان قد أرسل طليعة ليأتوه بخبر سكان الأرض المقدسة، فلما رجعوا أخبروه بأن المدينة محصنة، وأن فيها رجالاً طوالاً أقوياء، فارتاع بنو إسرائيل لذلك[2]، فلما قال لهم موسى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢١)؛ أجابوه إجابة الخانعين الجبناء، إجابة من تجرع الذل وجرى الخور في عروقه مجرى الدماء؛ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢).

ولأن كل أمة لا تخلو من النبهاء الأتقياء، انبرى رجلان فقط من بين كل هذه الجموع الغفيرة ناصحَيْن لهم قائلَيْن: ﴿ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

وهنا فاحت رائحة اللؤم والتمرد من طباع الأسباط لما رفضوا نصح الناصحين، ورددوا كلمة الجبن قائلين: ﴿قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ

أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)؛ وهنا بيت القصيد؛ فالصدور كالقدور، وألسنتها مغارفها، وهذه كلمات ثقيلة مدوية، قد جُردت من ثياب الأدب واللباقة، فكشفت ما في صدور الأسباط من لؤم وخسة ونذالة، بل إنه أسلوب مبتذل وضيع لا يليق برجل عادي فضلاً عن كونه رسولاً نبيّاً.

وقد أجاد صاحب «الظلال» حين صور أسلوبهم هذا بقوله: وهكذا يحرج الجبناء فيتوقحون؛ ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون بأرجلهم كالحمر ولا يقدمون! (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا)؛ هكذا في وقاحة العاجز! فهو ليس بربهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال، (إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) لا نريد ملكاً، ولا نريد عزاً، ولا نريد أرض الميعاد ودونها لقاء الجبارين!

هذه هي نهاية المطاف بموسى عليه السلام، نهاية الجهد الجهيد، والسفر الطويل، واحتمال الرذالات والانحرافات والالتواءات من بني إسرائيل!

نعم هذه هي نهاية المطاف نكوصاً عن الأرض المقدسة، وهو معهم على أبوابها، ونكولاً عن ميثاق الله وهو مرتبط معهم بالميثاق فماذا يصنع موسى؟ وبمن يستجير؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة ٢٦).

مفتاح النصر على اليهود

من أهم مفاتيح النصر على اليهود أن يوقن المسلمون بأن اليهود جبناء، يهابون الموت ويفرون منه، ويحرصون على الحياة كحرص المجاهدين المسلمين على الموت في سبيل الله.

يقول د. عبدالستار فتح الله: «فاليهودي أحرص الناس جميعاً على حياته، فهو أحرص من المشرك الذي لا يؤمن بحياة بعد موته، وأمنية اليهودي الكبرى أن يعمّر في الأرض أطول مدة ممكنة، لا أن يموت في شيخوخة الإنسان المعتادة، فضلاً عن أن يقتل في شرخ الشباب وزهرة الصبا»[٢].

فالجبن طبع في الأسباط قد ورَّثوه إلى أحفادهم من اليهود، فهم قوم لئام جبناء، قد فضح الله جبنهم وخوفهم من الموت في أكثر من موضع:

الأول: في حرصهم على الحياة بأي شكل وأي ثمن، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (البقرة: ٩٦)؛ فلشدة جبنهم تراهم يحرصون على الحياة مهما كانت حقيرة أو ذليلة، فلا شهامة عندهم ولا رجولة ولا إباء، يرفضون الموت بكل أشكاله، ويقبلون الحياة بأي لون.

من أهم مفاتيح النصر على اليهود أن يوقن المسلمون بأنهم جبناء يهابون الموت ويحرصون على الحياة

الثاني: عندما ادَّعوا أن الجنة حكر عليهم، فتحداهم القرآن أن يتمنوا الموت لينتقلوا إلى هذه الجنة، فنكصوا وجبنوا؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة).

الثالث: عندما زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس، فتحداهم القرآن أن يتمنوا الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة).

الرابع: عندما فضح القرآن خورهم وجبنهم في ميادين البطولة والرجولة، في ساحات الوغى، عندما تخرس ألسنتهم الطويلة وتخطب السيوف على منابر الرقاب، فتراهم يخافون، بل ترى الجندي منهم دائماً مدججاً بأحدث الأسلحة، مستعملاً أحدث الدبابات والمدرعات ومع ذلك فهو جبان، يفر من حجر صغير في يد طفل فلسطيني بطل.

فشتان بين من تربى على الخنوع ورضع لبان المذلة وتناقل الجبن عبر جيناته

الأسباط جبنوا عن دخول الأرض المقدسة التي كانوا سيعيشون فيها ملوكاً مكرمين ونكصوا فحل بهم العقاب

كتب الله عليهم التيه في مجاهل الصحراء لمدة ٤٠ سنة ليموت ذلك الجيل الجبان من بني إسرائيل

الوراثية، والنشمي البطل المسلم الحر الأبيّ، وشتان بين الأسباط والأصحاب!

وإننا أمام مشهد الخزي والعار الذي قام به الأسباط مع نبي الله موسى حين جبنوا عن القتال، ورفضوا دخول الأرض المقدسة قائلين: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ نتذكر مشهد العز والشجاعة من أجدادنا صحابة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، يوم «بدر» حين استشارهم في قتال النفير الذين جاؤوا لحماية قافلة قريش، فقام المقداد بن عمرو ليقول: امض يا رسول الله لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إننا هاهنا قاعدون»، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إننا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

ثم قام سعد بن معاذ ليقول: امض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، إنا لصُبُر في الحرب، صُدُق عند اللقاء فسر بنا على بركة الله[٤].

وهي أن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتعامل بالظلم والاضطهاد من قبل حكامها تفسد أخلاقها، وتُذَلُ نفوسها، وتعتاد الخنوع للظالمين، فلا يَرِدُ ببالها يوماً أن تدفع طاغية أو تقاوم ظالماً، أو تغير واقعها المشين.

وهذا ما تربى عليه الأسباط، الذين تجرعوا طعم الظلم والاستعباد على أيدي الفراعنة، حتى صار الجبن والخنوع طبيعة فيهم، فلما جد الجد وحان وقت الجهاد، ودعاهم موسى إلى القتال، نكصوا وارتدوا على أدبارهم.

أما الأصحاب فقد تربوا في مهدهم على العزة والأنفة، والشجاعة والقوة، بل لقد كانت الحروب في جاهليتهم تشتعل بينهم وينخرطون في قتال طويل لأجل ناقة، فكيف ستكون تضحيتهم وجهادهم في سبيل الله لأجل جنة عرضها السماوات والأرض؟!

لقد جبن الأسباط عن دخول الأرض المقدسة التي كانوا سيعيشون فيها ملوكاً مكرمين، وخالفوا أوامر الله ورسوله، ونكصوا وارتابوا وترددوا، فحل بهم العقاب، جزاءً وفاقاً: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦)؛ حكم الله عليهم بالتيه، لأنهم جبناء لا يستحقون خلافة هذه الأرض المقدسة، فخلافة الأرض المقدسة تحتاج إلى جيل من الأبطال الصادقين الذين يعرفون قيمتها ويستحقون بركتها.

تاه الأسباط في صحراء سيناء أربعين سنة بين تلالها وكثبانها وشعابها ووديانها محتارين لا يعرفون أين يسيرون ولا أين ينتهي بهم مسيرهم! كتب عليهم التيه في مجاهل الصحراء لمدة أربعين سنة ليموت ذلك الجيل الجبان من بني إسرائيل، فأربعين سنة كافية لموت ذلك الجيل الذي لم تنتفع معه كل وسائل موسى للارتقاء بهم[٥].

ثم خلف من بعدهم جيل مميز، تربي على القوة والاعتماد على النفس، وجمع في شخصيته بين حرية البداوة وقسوتها، وعدل الشريعة الموسوية وهدايتها، جيل قادر على أن يعيش حياة الكرماء، في أرض مقدسة باركها رب الأرض والسماء.■

الهوامش

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب.

(٢) مع الأنبياء، عفيف طباره.

(٣) معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبدالستار فتح الله.

(٤) قصص الأنبياء، محمود المصري.

(٥) القصص القرآني، د. صلاح الخالدي.

العِشْرة بالمعروف أو التفريق بإحسان (1)

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

لو سمحتم، أستاذي الفاضل، أن أعرض لقرائكم الكرام سيرة حياتي من خلال نافذتكم بمجلة «المجتمع» الموقرة، وأنا لا أطلب منكم حلاً، فالجروح عميقة، وما زالت تستنزفني، وصاغت، بل عقدت حياتي بما يصعب أو يستحيل معها التواؤم ناهيك عن العلاج!

أنا فتاة في منتصف العقد الرابع من عمري، ورغم تميزي بالذكاء والحكمة، بشهادة أساتذتي، فإنني تعثرت في دراستي الجامعية، واضطررت للعمل وترك مقاعد الدراسة، وقررت منذ صباي ألا أتزوج؛ حتى لا أجني على أولادي كما جنى عليَّ والدايّ! ليس لي أي صداقات؛ لأنني منذ صباي وأنا أحقد على كل بنت تعيش في دفء والديها! فعندما كنت أذهب للعب مع صديقاتي وأجد والدين يجلسان معاً يتسامران أتعجب!

ولنعد إلى بداية مأساتي.. والدايّ! نعم كنت البنت الوحيدة، وأخ يصغرني، وآخر يكبرني، ووالدين من الناحية الشكلية، كانا يوفران لنا كل شيء، نعم كل ما يمكن أن يتمناه الأولاد كان متاحاً وبوفرة، كان كل منهما معنا بمفرده رائعاً، ويبذل جهده لإسعادنا وتربيتنا وانتظامنا في دروس القرآن والترفيه بالنادي.

ولكن، عادة ما يتحول أي حوار بين والدينا إلى مناقشة حادة تنتهي بخناقة، رغم كل ما كانا يبذلانه من جهود من أجلنا، فإنهما فشلا في أهم شيء؛ وهو أن نحيا في محضن آمن وننعم بالاستقرار العائلي؛ مما دمرني نفسياً أنا وأخَوَيَّ.

حالهما كانت إما خصاماً وإما شجاراً، عند الخصام نعمل ساعي بريد بينهما، ويُسمعنا كل منهما كلاماً غير لائق عن الآخر! وإن تصالحا فسرعان ما يدب الشجار، ونفر مذعورين كالفئران إذا ما سمعتْ صوت القط، نعم عندما أتذكر الآن كيف كان شعوري وخوفي واضطرابي عندما كنت أسمع صراخ أبي، تنتابني حالة من البكاء ولا أعلم كيف كنت أتحمل ذلك! أيضاً مما كان يؤلمني أن تذكر أمي أبي بسوء لأقاربنا أو صديقاتها.

كان أبي طيباً جداً، كثير السخرية والمزاح، ولكنه كان لا يُحسن اختيار ألفاظه، سريع الغضب إلى حد الثورة، ولكنه كان أيضاً سرعان ما يهدأ وينسى، بعكس أمي التي كانت حساسة جداً، رقيقة المشاعر، سرعان ما تتأثر وتبدي استياءها، رغم فهمها لشخصية أبي، فلا تنسى وتحتاج فترة حتى تعود لطبيعتها، لذا كانت الحالة النفسية لكل منهما مهيئة للاشتعال في كل لحظة ونحن وقودها.

عندما كنت في الصف الثاني عشر، ومع استمرار وتيرة حياتنا، أصبت بحالة من الجمود أو الجحود؛ ولم أعد أبكي عندما يهين أبي أمي، أو أحزن عندما تسب أمي أبي، وتعايشت وألفت ذلك! إلا أنه حدث البركان الذي زلزل حياتي وأخَوَيَّ؛ وهو طلاق والدَيَّ، أبي لم يطلق أمي فقط، لقد طلقنا معها!

إن قصة طلاقهما، أو بمعنى أدق حربهما، استمرت حوالي ٣ سنوات، بدأت بخلاف وسباب وصراخ وتشابك بالأيدي، أدى إلى قطيعة بينهما، حيث أقامت أمي معي في غرفتي، وطلبت الطلاق، ولكن أبي رفض وحاول معها كثيراً، لكنها أصرت، وعشنا في جزيرتين منفصلتين، وارتحنا من خلافاتهما إلا من بعض القذائف اللفظية.

لجأت أمي للمحاكم طلباً للطلاق؛ مما أثار حفيظة أبي؛ فانهال عليها سباً وضرباً، وحضرت الشرطة، واستشهدت أمي بنا بما فعل بها أبي، وكانت ليلة سوداء قاتمة

حالكة ما زلت أعيشها، نظرات أبي التي تتوعدنا لأننا شهدنا بما فعله بأمي، لم نعد إلى بيتنا، وأقمنا لدى خالي وتكدسنا في شقته مع أسرته، وامتنع والدي عن الإنفاق علينا، متعللاً بانتظار قرار القضاء، كانت فترة ذليلة، وكانت ظروف خالي المادية لا تسمح بأي أعباء أخرى؛ مما اضطرت أمي إلى العمل والاستقلال بشقة أقل من متواضعة.

حاول خالي إقناع أمي بالتنازل عن دعوى الطلاق، وتحت توسلاتنا ورأفة بنا وافقت أمي، وكم كانت فرحتنا! وكم كانت صدمتنا برفض أبي! كانت قد مرت عدة أشهر، لم أرَ أبي منذ الليلة السوداء، ولم يطلب أن يرانا! وقد اشتقت إليه، فكلمته، وكم كانت صدمتي عندما رأيت جموده معي! واستعطفته أن نعود لبيتنا، فقال: إن أمي إنسانة عنيدة وتتعمد مخالفته؛ مما حوَّل حياته معها إلى جحيم، وكان صابراً عليها من أجلنا، هي التي أصرت على الطلاق، وإننا شهدنا ضده فنتحمل ذلك!

كنت ما زلت أحلم ببيتنا، ولكنني صُدمت عندما وجدت أمي في حالة ذهول وهي تستلم الحكم بطلاقها! وكم صدمت لضياع حلمي، وكم أيضاً كانت دهشتي لحالتها، وسألتها: ألم ترفضي مساعي أبي بعودتنا للبيت؟

قالت: والدك هو الذي دفعني دفعاً لطلب الطلاق.

فقلت: لماذا لم تفكري فينا؟ ألم يكن لك أن تتخلي عن حساسيتك المفرطة وتتحلي بالصبر، ولا تثيري غضبه حتى لا تحطمينا أنا وأخوي؟ كم من مرة نصحتك جدتي ألا تثيري غضب أبي؟

قالت: أبوك السبب، أنا مجنيٌّ عليَّ، حتى في فترة خطوبتنا كان سريع الانفعال والغضب!

بادرتها: ولماذا تزوجته إذن؟!

قالت: قلت: سوف يتغير بعد الزواج، ولكنه استمر على حاله.

قلت: كنت تعاندينه وتتعمدين أن تعملي عكس طلباته، أنت السبب فيما نحن فيه!

قالت: لست أنا وحدي المسؤولة.

قلت: أمي، قرار طلاقك لا يتعلق بك وحدك فتقيسينه من منطلق تأثيره عليك فقط! ولكننا تأثرنا كما ترين، أخي الصغير كما تعلمين منذ الليلة المشؤومة قد أصيب بالتلعثم، أما الأكبر فلا نعلم عنه شيئاً، وقد ضاع مع رفقة السوء!

هنا انكفأت أمي على أحزانها تبكي، وقد ضاع منها كل شيء، وأنا تعثرت في دراستي واضطررت للعمل، كم أنا أمقت حياتي، أرى في كل رجل أبي، إنَّ ظلَّ أبي يلاحقني، طبعاً أنا مثل كل فتاة تحلم ببيت يكون مملكتها وبطفل تداعبه، ولكن عندما أتذكر أنه سيشاركني فيه زوج؛ سرعان ما يجثم على قلبي كابوس أبي!

لقد انزويت عن الحياة، ليست لي صديقات، أرجع من عملي وأغلق عليَّ غرفتي لأجترّ ذكرياتي الأليمة.

أعلم أنه ليس هناك حل لمأساتي، ولكنني من باب الشفقة على من يُقدمون على الزواج: «لا تجنوا على كائنات كنتم سبباً في وجودهم ثم تحطمونهم»!

الـــرد:

أيها القارئ الكريم، لعل هذه الرسالة من أكثر الرسائل التي آلمتني، لما فيها من ظلم من الوالدين لفلذات أكبادهما، والموضوعات التي تناولتها من أكثر الموضوعات أهمية في قضايا الأسرة، وهي: متى أصل إلى قناعة شرعية -وأؤكد شرعية وليس مجرد هوى- للطلاق؟ وكيف يتم الطلاق؟ وكيفية إدارة مرحلة ما بعد الطلاق؟

ونظراً لضيق المساحة، سأتناول بالرد على صاحبة الرسالة، على أن أتناول كل محور من محاورها بمشيئة الله في الحلقات القادمة.

أولاً: استعادة ثقتك بنفسك وممارسة حياتك:

أنا معك ومقدر كل الآلام التي تحملتها سواء الناجمة عن سوء العلاقة بين والديك، وكذلك معاناتك أنت وأخويك بعد الانفصال، ومن حقك أن تتألمي خاصة أن السبب في ذلك والداك، ولكنّ هناك فرق أن نتألم لما نواجهه في هذه الدنيا، وأن يؤثر ذلك على ذواتنا، فمن الطبيعي أن نتألم، ولكن ليس من الحكمة أن ندمر أنفسنا بالعيش في بوتقة من اجترار الأحزان، ونظل ندور في دائرة مغلقة من الهموم وندب الحظ، هناك قصص ناجحين ومبدعين كانوا

من الطبيعي أن نتألم.. لكن ليس من الحكمة أن نعيش مع اجترار الأحزان

ما زالت أمامك فرصة لبناء حياتك ولا تجعلي أخطاء غيرك تدمر مستقبلك

في بدايتهم مشردين، أو نشؤوا في أسر مفككة، إليك بعض الأمثلة:

- إحدى الشخصيات البارزة التي واجهت تحديات في طفولتها ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م)، المؤرخ والفيلسوف الإسلامي، وُلِد ابن خلدون في تونس، وكانت حياته مليئة بالتحولات والصعوبات، حيث بدأت في ظروف صعبة؛ فقَدَ والده وهو صغير، وتعرضت عائلته للنزوح والاضطهاد في بعض الأحيان.

- ج. ك. رولينغ، الكاتبة البريطانية المشهورة بسلسلة «هاري بوت»، كانت تعيش في حالة فقر شديدة، وكانت مشردة قبل أن تكتب أول رواية لها.

- كريس غاردنر: قصة حياته قدمت في فيلم «THE PURSUIT OF HAPPYNES»، حيث كان مشرداً وواجه العديد من التحديات قبل أن يصبح مستشار استثمار ناجحاً.

- أوبرا وينفري: نشأت في أسرة مفككة وتعرضت للعديد من التحديات في طفولتها، ولكن أصبحت واحدة

قررتُ منذ صباي ألا أتزوج حتى لا أجني على أولادي كما جنى عليَّ والدايَّ!

والدك لا يمثل كل الأزواج فهناك العديد الذين يقدرون قيمة الحياة الزوجية

من أشهر شخصيات التلفزيون ورائدة الأعمال الناجحة.

هذه الأمثلة تظهر كيف يمكن للأفراد تحقيق النجاح والإبداع حتى في ظروف وأوقات صعبة في حياتهم.

إن ما واجهته من معاناة يجب أن يكون دافعاً لك على تحقيق حلمك في حياة سعيدة.

يجب عليك، بداية، محاولة فهم سنن الله تعالى في خلقه، فكل إنسان مسؤول عن تصرفاته فيما ابتلاه الله به في هذه الحياة الدنيا؛ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(هود: ٧)، وأن الله عادل، وأي ألم يواجهه المسلم يأجره عليه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، من نَصَبٍ ولاَ وصَبٍ، ولاَ هَمٍّ ولاَ حُزْنٍ ولاَ أَذًى ولاَ غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلاَّ كَفَّرَ اللَّه بهَا مِن خَطَايَاهُ» (رواه أبو هريرة، صحيح البخاري، ٥٦٤١).

لذا، عليك أن تخرجي للحياة الاجتماعية من خلال مشاركتك في الأنشطة الاجتماعية التطوعية التي يقدمها المسجد القريب لك، والاندماج مع زميلاتك بالعمل وجاراتك وبناء صداقات قيمة.

حاولي أن تبدئي بالبحث في استكمال دراستك الجامعية، وإن لم تجدي لك الميل الكافي فالتحقي بحلقات تحفيظ القرآن.

ثانياً: الزواج:

إن والدك لا يمثل كل الأزواج، هو مجرد واحد يمثل نفسه فقط، وهناك العديد من الأزواج الطيبين الذين يقدرون قيمة الحياة الزوجية، إن ما وصلت إليه الحياة الزوجية لوالديك نتيجة طبيعية لخطئهما معاً، وأيضاً هناك العديد من الزيجات الطيبة المباركة.

كما يمكنك الاستفادة من أخطاء والدتك -التي عايشتها وعانيت من آثارها السلبية- بما يجنبك من تكرارها.

ما زالت أمامك فرصة لبناء حياتك، ولا تجعلي أخطاء غيرك تدمر مستقبلك، والله معك.■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (4)

التربية بالقدوة.. بين المدارسة والممارسة

د. محمد البربري
داعية إسلامي

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

من القواعد التربوية الهادفة «التربية بالقدوة»، وهي قمتها وأعلاها ولُحمتها وسداها؛ لأن الأفعال أعلى رأساً من الكلمات، وأثبت قدماً من الشعارات، وتربيتك لولدك تكون بقدوتك له.

لقد كسب عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الأمجاد من أقطارها وديارها حين صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلم القدوة في رحابه صغيراً، وشبَّ عليها كبيراً، والمعالى لا تعترف بالأعمار ولا يعجز عن ارتقائها الصغار، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة صالحة جعلها الله متجددة على مر الأجيال، وميزاناً أعلى للأقوال والأفعال؛ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١).

ومن يطالع الواقع البئيس في أغلب المجتمعات اليوم، إلا من رحم الله، يجدها تعاني انفصاماً نكداً في شخصية الطفل بين التوجيه النظري والفعل العملي.. أما حبر الأمة ابن عباس فتربى على السلوك القويم والشخصية المتزنة والنفسية الملتزمة، وعايش القدوة ممارسة لا مدارسة؛ وبينهما أمد بعيد وبون كبير.

«التربية بالقدوة» أعلى رأساً من الكلمات وأثبت قدماً من الشعارات وتربيتك لولدك تكون بقدوتك له

ليلة هنية بصحبة خير البرية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءاً بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَفَوْقِي نُوراً، وَتَحْتِي نُوراً، وَأَمَامِي نُوراً، وَخَلْفِي نُوراً، وَعَظِّمْ لِي نُوراً» (صحيح مسلم، ١/ ٥٢٩).

في هذا الحديث الشريف عدة دروس دعوية وتربوية مهمة يتعلم منها الآباء والأمهات، منها:

١- أن هذه ليلة كريمة في حياة صبي مسلم عاش رسالة الإسلام بعقله وقلبه؛ فضحّى من أجلها بالغالي والنفيس، وتعامل مع الحياة بميزان حساس، وحاسب نفسه بالأنفاس، وجعل لكل وقت عبادة، وعاش لحظات عمره في طاعة.

ففي الوقت الذي يلهو فيه الرفاق، ويضيعون الأعمار والأوقات فيما مضى وما هو آت، ممن لا يخلو منهم عصر ولا مصر، إلا من رحم الله، يجعل ابن عباس سلواه في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سجوة الليل، وإن كان قد تعلم الفرائض في النهار فلم يفته أن يعرف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل؛ ليكون سفيراً يعلِّم الأمة هدي المعصوم وهو يناجي الحي القيوم، وكان من الممكن أن يسلّم جنبيه إلى النوم، ويخلد إلى الراحة، لكنه ضحى بالنوم الهنيء ليعلِّم الأمة هدي النبي صلى الله عليه وسلم

٢- حسن التربية والتوجيه وسعة صدر المربي عند الخطأ، وهذا منهج عظيم في معاملة المخطئين؛ «فقمت عن يساره فأدارني عن يمينه»، فالإسلام يعالج باللين لا بالشدة، بالمرهم لا بالمشرط، بالقدوة في الحركات والسكنات لا الرجم بالعبارات والكلمات.

وهذه لفتة كريمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لربانيّ الأمة يتعلم منها من يتصدرون زمام الدعوة وبضاعتهم قليلة وهمتهم كليلة وبصرهم عليل، يستكثرون من الكلام رد السلام ومن التوجيه امتشاق الحُسام!

فما أحوجنا إلى أن نعلِّم أولادنا، ونصبر عليهم، ونرأب الصدع، ونقيل العثرة، ونصوب الخطأ! وكثير من أولادنا يجهل كيفية الوضوء والصلاة وشعائر الإسلام؛ فهل من توجيه رشيد؟!

ثم علينا أن نتعلم من منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في معالجة الأخطاء؛ فتارة كان يرشد المخطئ بالتوجيه المباشر، وتارة بالتعريض، وأخرى بالتأنيب، وغيرها من الأساليب التربوية التي تزخر بها السُّنة المطهرة، وينادي بتطبيقها أرباب الصناعة من علماء التربية والتعليم في مختلف أماكن الدراسة وقاعات البحث.

٣- استحباب قيام الليل؛ فهو ديدن الصالحين ودأب المقربين، وبيان أفضلية الدعاء وقت السحر، فهو مظنة القبول والاستجابة، قال جل ثناؤه: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة)، فكم خرَّجت مدرسة قيام الليل من رجال عظماء فتح الله على أيديهم الفتوح وعظمت المقدسات!

ثم انظر ماذا ترى؟ لو جعل الإنسان لنفسه في كل أسبوع مرة يصلي فيها قيام الليل مع أولاده، ويحثهم على الدعاء بالنصر والتمكين لهذا الدين، وأن يسلط الله تعالى سيف انتقامه على الظالمين اقتداء بالنبي الأمين، وتعويدهم على الأذكار النافعة والدعوات الضارعة، وثمارها اليانعة؛ ففيها استقامة الحال وراحة البال والفوز يوم المآل.

ولننظر إلى كَمّ الرحمات والبركات التي تنساب في رحاب هذا البيت الطهور!

٤- دور الوالد الفطن اللبيب (العباس رضي الله عنه) الذي دفع ولده إلى البيئة النبوية العطرة ليرتشف من روح الحكمة وريحانتها من فم المعصوم صلى الله عليه وسلم ما يصلح الله به المعاش والمعاد.

ثم أين منه هؤلاء الذين أهملوا في تربية الأولاد حتى إننا نرى بعضهم يضن على أولاده بالوقت فيعطيهم الفتات ربما قبل أن يخلد إلى الراحة والنوم، ويفني عمره في الأشغال والارتباطات فيضيع الأولاد في لجة الحياة ويبتلعهم اليم، يخرجون بلا استئذان ويلهون بالليل مع رفاق السوء؟!

أحريّ بنا أن نلتمس لأولادنا المعلم القدوة الذي يعلّمهم من سمته قبل نطقه، ومن أفعاله قبل بيانه، حتى يكونوا نماذج صالحة تسرّ الناظرين وتنير دروب السائرين!■

نلتمس لأولادنا المعلم القدوة الذي يعلّمهم من سمته وأفعاله قبل بيانه حتى يكونوا نماذج صالحة

تواصل الممارسات العنصرية ضد مسلمي الهند
التطرف الهندوسي
سياسة مودي

الدعم العسكري الألماني لإسرائيل زاد 10 أضعاف خلال الأشهر الماضية !
أسلحة ألمانية
German weapons
الابتزازية
النازية

20

أهلنا ما نخليهم

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

عشرون عاماً من العطاء

الغارمين

عدد الحالات	المبلغ
18,000 ألف حالة	13 مليون

أسر السجناء

عدد الحالات	المبلغ
15,000 ألف حالة	3,2 مليون

أرقام الحسابات البنكية: بيت التمويل الكويتي 011140010577- البنك الوطني 1000314577- بنك بوبيان777619001

24834414 94064086 @Takaful.Association
www.altkaful.com @altakaful

2024 / 2 د ح / 9

ع 1 | ك ف 1 | 2024 | يمنع الجمع النقدي